

العلاقات الدولية

د. عبد اللطيف الصباغ
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة بنها

مقدمة:

إن العلاقات الدولية قديمة قدم المجتمعات الدولية، لكنها تميزت في القرن العشرين بعدة مميزات لعل أهمها تشابك العلاقات بين الدول بسبب ثورة التكنولوجيا وبخاصة في وسائل الاتصال، فلم تعد دولة تستطيع أن تعيش بمعزل عن العالم، كما أن سرعة الأحداث التي يتحكم في إيقاعها الدول الكبرى تجرف الدول الصغرى في تيارها. وأصبح العالم يمثل قرية صغيرة تتحكم في مصيرها في بداية القرن عدد قليل من الدول علي رأسها بريطانيا وفرنسا، ثم شهد العالم حرباً ضروساً، اصطبغت بالعالمية لأول مرة في تاريخ العالم، أفرزت عدداً من النظم الشيوعية والدكتاتورية في روسيا وإيطاليا وألمانيا، قادت العالم إلى حرب عالمية ثانية أشد وأخطر من الأولى.

وكانت نهاية النصف الأول من القرن العشرين إيذاناً بانقسام العام أيديولوجياً إلى قسمين، القسم الأول رأسمالي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، والقسم الثاني شيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي، وحاولت بعض الدول أن تقف علي الحياد بين المعسكرين للتخفيف من حدة الحرب الباردة بين الطرفين، وأبى القرن العشرين أن يرحل دون أن تتغير خريطة العلاقات الدولية بتفكك المعسكر الشرقي وانفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم، وتشابك العلاقات والتكتلات الاقتصادية التي فرضت نفسها علي خريطة العالم جعل من الضروري دراسة العلاقات الدولية وتطورها وما أبرزته من مشكلات وقضايا تؤرق العالم.

وتختلف طبيعة العلاقات الدولية عن الدراسات التاريخية الكلاسيكية بشتي فروعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فالمادة لا تهتم بالسرد التاريخي لوطن ما أو منطقة أو شخصية أياً كان حجمها وقدرها، وإنما تهتم بدراسة العلاقات الدولية وما تفرزه من مشكلات وقضايا تؤرق المجتمع الدولي، والمنظمات الدولية والإقليمية ودورها الفعال في هذه المشكلات، فهي مرآة تعكس واقع العالم المعاصر لتيسر عملية التنبأ بمستقبل الصراعات الدولية وحل المشكلات قبل تأزمها، فالتوصل لحل الأزمات الدولية ليس بالأمر الهين.

ولابد لدارس العلاقات الدولية أن يجمع كل أزمّة الأمور في يده وأن يكون منقذ الذهن حاضر البديهة لا يقف عند حد التفاصيل الدقيقة،

وإنما يتخطاها إلى الخطوط الرئيسية ويستخلص منها نتائج وسلبات الظاهرة موضوع الدراسة وإيجابياتها. ودراسة العلاقات الدولية علم جديد لم يظهر قبل الحرب العالمية الأولى التي أضفت سمات خاصة علي العلاقات بين الدول.

فأخذت مادة العلاقات الدولية طريقها إلى الجامعات الأمريكية تحت اسم International Relations ثم انتقلت إلى جامعات بريطانيا تحت اسم الشؤون الدولية International affairs أو شئون العالم Word Affairs ثم استقر الاسم عند العلاقات الدولية International Relations ثم تناولته الجامعات الفرنسية وباقي الدول الأوروبية، ثم دخل الجامعات المصرية في الخمسينات بدءاً بجامعة الإسكندرية، غير أن طبيعة المادة مازالت تعاني كثير من الغموض.

وهناك مناهج عدة في دراسة العلاقات الدولية أولها وأقدمها وأهمها وأكثرها شيوعاً المنهج التاريخي، ويهتم بتطور التاريخ الدبلوماسي وجذورها التاريخية، الأمر الذي يساعد في تفسير أسباب الظاهرة وأسباب النجاح والفشل لقادة الدول، كما يساهم في فهم تطور العلاقات بين الدول، ويساعد على اتخاذ القرارات المناسبة، ويمكن في ظله التنبأ بالنتائج، وإذا كانت الليبرالية الغربية تراه غير كاف، فإن الماركسية تراه وافية. ثم ظهرت مجموعة من المناهج التقليدية الأخرى مثل المنهج القانوني Legal Approach، المنهج الواقعي ويعني التحليل في إطار سياسات القوى، المنهج القومي الذي يركز على المصالح القومية، والمنهج المثالي Ideal Approach. وتؤكد الاتجاهات المعاصرة أنه ليس هناك اتجاه واحد يستطيع أن يقدم تفسيراً لظواهر العلاقات الدولية وإنما يجب أن تتكامل المناهج في ذلك.

ونحاول من خلال هذه الدراسة أن نعرف بالعلاقات الدولية ومناهج الدراسة فيها وأهم المصطلحات والمفاهيم من خلال الفصل الأول، ثم نتبع العلاقات الدولية بداية من جذورها حتى وقتنا الراهن، ونحاول إيجاد تفسيرات للظواهر الدولية في خمسة فصول. فإن كان من توفيق فمن الله وإن كان من تقصير فمن نفسي، منتظراً آراء القراء وأبنائنا الطلاب.

والله ثم الوطن من وراء القصد

عبد اللطيف الصباغ

بنها في أغسطس ٢٠١٤

الفصل الأول

نظريات ومفاهيم أساسية في العلاقات الدولية

النظريات والمفاهيم هي مقاربات فكرية لمحاولة فهم الظواهر الاجتماعية أو السياسية، والنظرية عبارة عن طرق لترتيب الحقائق وتحويلها إلى معلومات وبيانات (data) وانتقاء المعلومة المفيدة من بين المعلومات المتاحة والاستفادة منها في عمليات الوصف والتصنيف والتحليل والتفسير والتنبؤ. وتمتلك العلوم الطبيعية بيئة أكثر خصوبة لتوالد النظريات من العلوم الاجتماعية، إذ إن العلوم الطبيعية تتعامل مع ظواهر يقينية ثابتة شبه مستقرة وتعتمد المنهج التجريبي، أما العلوم الاجتماعية فتتعامل مع الإنسان وسلوكياته وعلاقاته الاجتماعية المعقدة، التي تختلف باختلاف المؤثرات والأسباب.^(١)

أما عن تعريف النظرية فيقول كينيث والتر K Waltz: النظرية هي مجموعة قوانين متعلقة بسلوك ظاهرة معينة، ولكنه يستدرك بأن النظريات ليست القوانين في حد ذاتها وإنما هي محاولة لتفسير القوانين فعن طريق القوانين يتم التعرف على علاقات الظاهرة وارتباطاتها.^(٢) ويرى غيره^(٣) أن النظرية هي اختيار مجموعة من الظواهر وتقديم تفسير لها جميعا بشكل يقدم تفسيراً مقنعاً لأسئلة تثيرها الظاهرة. ويرى إبراهيم عثمان أن النظرية جهد عقلي تركيبى يعني بأمر الارتباط الموضوعي بين الحقائق البديهية والمسلمات الجزئية ونسجها على منوال واحد، ويرى أنها نسبية وتقريبية، وهي أقل تأكيداً من القوانين، وتعد فرضية يزداد يقين العلماء بها كلما أيدتها التجارب وكلما فسرت أكبر عدد من الظواهر.^(٤)

وتتضمن النظريات عدة عناصر منها:

أولاً: التعريفات: إذ تقدم النظريات تعريفات للمصطلحات والمفاهيم الأساسية

(١) سالم يفوت، فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع (بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٦) ص ٢١٨

(2) Waltz, K., **Theory of International Politics (Addison Wesley Company, USA, 1979) pp. 1-4**

(٣) جيمس دوتي وبالسترغراف، النظريات المتضاربة ت: وليد عبد الحي (بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر، ١٩٨٥) ص ص ٢٥، ٢٦

(٤) إبراهيم البشير، العلاقات الدولية المعاصرة (الرياض، دار العلوم، ١٩٩٠) ص ١٣

ثانيا: الفرضيات: وتعني افتراض وجود قواعد معينة في موضوع الدراسة، وهي مقاربات تهدف إلى كشف الحقيقة، وهي أداة لترتيب المعلومات وتوجيه البحث، وتلعب الفرضيات دورا في بناء النظريات.

ثالثا: الوصف: أي عرض المعلومات عرضا وصفيا

رابعا: التحليل: وهو تفتيت الكل إلى أجزاء أساسية وإخضاعها للتجربة كما وكيفا

خامسا: التركيب: أي تجميع الأجزاء في شكل تركيب فكري متماسك.

أما عن علاقة النظرية بالحقيقة فيرى البعض أن النظرية عملية تخمين علمية Speculation إلى أن تثبت صحة هذا التخمين فتتحول إلى حقيقة Fact غير أن النظرية لا تتطابق مع الحقيقة، فالنظرية نسبية ومتغيرة، أما الحقيقة ثابتة، والنظرية مخطط عقلي يستنبط المعاني ليقدم يفسيرا لظاهرة ما. ويعد تعدد النظريات في العلاقات الدولية مصدر قوة لهذا العلم^(٥)

ويصنف والتز النظريات في العلاقات الدولية نوعين أولهما: النظريات الجزئية أو المختزلة Reductionist Theories التي تتعلق بالتحليلات الخاصة بالفرد والدولة أو المستوى القومي، وثانيهما: النظرية النظامية أو الهيكلية systemic Theories وهي التي تتفاعل مع المستوى الدولي ومن خلالها يمكن فهم النظام السياسي الدولي.^(٦)

الواقعية Realism

برزت الواقعية كنظرية في العلاقات الدولية في مقابل المثالية Idealism في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي مثالية لحظية وشخصية ارتبطت بالرئيس الأمريكي ولسون صاحب المبادئ الأربعة عشر حتى ارتبطت باسمه "المثالية الولسونية Willsonian Idealism وعلى الرغم من ذلك يعود بها مؤرخي العلاقات الدولية كفكرة فلسفية إلى فلاسفة أوربا قديما وفي العصور الوسطى والحديثة ممثلة في الواقعية المعقدة Complex Realism لثيوسيديس، والواقعية

(٥) أنور محمد طه، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية دراسة نقدية مقارنة في

ضوء النظريات المعاصرة (السليمانية، العراق، ٢٠٠٧) ص ٣٩، ٩٤

(6) Waltz, K., Op.cit., p. 18

الأصولية Fundamentalism لمكيافيللي، والواقعية البنيوية Structuralism لتوماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩) والواقعية الدستورية Constitutionalist لروسو. ويعد السياسي العجوز مكيافيللي هو رائد الواقعية في عصر النهضة الأوروبية، وقد تبلورت الواقعية التاريخية كمهج تفكير في كتابه " الأمير"، فأعطى أولوية للسياسة على الأخلاق، وأولوية الدولة على الدين. أما الفيلسوف السويسري جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) فيعرف بفيلسوف عصر التنوير. أما الولايات المتحدة فقد بدأت الواقعية فيها على يد المجموعة التي فرت من الاضطهاد في إنجلترا واستوطنت ماساشوستس ١٦٢٠م وأسسا النواة الأولى للولايات المتحدة، وقد آمنت هذه الطائفة البروتستانتية بالبيوريتانية التي تعني أن الإيمان بالله يترافق معه الإيمان بالقدرة الإنسانية، وقد طغى الاتجاه المادي على الشريحة السياسية في المجتمع الأمريكي حتى آمنوا بما يعرف بالداروينية الاجتماعية التي تجعل من الإنسان تطور طبيعي للحيوان لا يختلف عنه إلا في درجة التطور وليس النوع، وقد انطلق من نظرية التطور لدارون قوانين طبيعية تحكم الحياة السياسية مثل "الصراع من أجل البقاء" و"البقاء للأصلح والأقوى". وقد سيطرت نظريات على الوعي القومي للدول الكبرى فإذا كانت المثالية قد سيطرت على الوعي القومي الألماني والتجريبية أهم خصائص الوعي القومي الإنجليزي والثورة الاجتماعية في روسيا، فإن البراجماتية^(٧) كانت شعار الوعي القومي الأمريكي.^(٨)

ونظرية الواقعية أو النظرية الواقعية هي إحدى النظريات السياسية التي تعني بتحليل السياسات الدولية أو السياسات الخارجية للدول. وتعد

(٧) يرجع مصطلح براجماتية إلى الكلمة اليونانية القديمة براجما التي تعني الفعل، وهي فلسفة تدعي تفسير السلوك الفعلي الإنساني دون أو هام نظرية أو مثالية، ويراهما وليم جيمس نهاية الأمر بعيدا عن المبادئ والمقدمات، وهي تتفق مع المذهب النفعي في الجانب العمليوتحتقر الحلول اللفظية والتجديدية البحتة، ومن مميزاتها أنها ثنائية تستوعب العلم والدين معا، والإنسان في البراجماتية هو الكائن الوحيد الذي يفترس أبناء نوعه، ففلسفة القوة عنده منطقتها العصا وجوهرها عطلة أخلاقية، لذا اكتسبت الواقعية الأمريكية نزعتها العملية وتعظيمها للمصلحة المادية من الفلسفة البراجماتية.

(٨) أنور محمد طه، مرجع سابق، ص ١٧١ - ٢١٤

الواقعية السياسية Political Realism أو الواقعية في السياسة الدولية - بمثابة رد فعل على تيار المثالية Idealism، وكانت المثالية قد برزت بشكل ملحوظ كأحد الاتجاهات الفكرية لتحليل السياسات الدولية عقب الحرب العالمية الأولى إلى جوار المثالية التي نادى بها ولسن في مبادئه الأربعة عشر التي روج إليها المثاليون كمعايير لمدى توافق السياسات الخارجية للدول مع الأخلاق والسلوك المثالي المفترض أن ينتهجه بما يتضمنه من أدوات لحل المنازعات والحد من الصراعات مثل الوساطة والمفاوضات والتحكيم والقضاء الدولي. وبرغم قدم الأصول الفكرية للواقعية السياسية كما أوضحنا سابقاً، إلا أن ظهور المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية بقوة فترجع للفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية.

ويعتبر هانس مورجنتاو (١٩٠٤ - ١٩٨٠) رائد النموذج المعرفي الواقعي Realist paradigm في الولايات المتحدة وهيمنته في حقل العلاقات الدولية، ومن أهم كتاباته في هذا المضمار "السياسة بين الأمم: الصراع من أجل القوة والسلام"، "الرجل العلمي وسياسة القوة" عام ١٩٤٦، "في الدفاع عن المصلحة القومية" ١٩٥١، "الغرض من السياسة الخارجية الأمريكية" ١٩٦٠، و"الحقيقة والقوة" ١٩٧٠، "حقوق الإنسان والسياسة الخارجية الأمريكية" ١٩٧٩. ومفاهيم القوة عند جنثاو تتطوي على أي شيء يقيم سيادة الإنسان على الإنسان ويضمن استمراريتها ويشمل كافة العلاقات الاجتماعية التي تحافظ على تلك الغاية، بداية من العنف البدني وانتهاء بالروابط النفسية التي يسيطر بها عقل على عقل آخر، فالثوة تشمل كل أشكال السيطرة من إنسان على آخر، وهنا تعدى سلطان الإنسان في السيطرة على الطبيعة وعلى نفسه إلى السيطرة على الآخرين، ويمارس الإنسان هذه السيطرة عن طريق الأوامر أو التهديد أو الإقناع أو بوسيلة أو أكثر من هذه الوسائل. وفي ضوء مفهوم القوة تأتي المصلحة القومية^(٩) التي تضبط السياسة

(٩) يرى جنثاو أن المصلحة القومية قد تعترضها المصلحة تحت القومية وهي مصالحي مجموعات المصالح الداخلية، والمصالح فوق القومية التي تعني مصالح البشرية ككل، ويرى أن المصلحة القومية يجب أن تتوسط هذه المصالح وتتقدم فلا تعيقها مثل هذه المصالح.

الخارجية بغض النظر عن المزايا الشخصية والعقلية لوزراء الخارجية المتعاقبين. أما المعايير الأخلاقية فيرى جينثاو مثل مكيافيللي أنها غير مناسبة للعلاقات الدولية، فالتطرف الخلفي عنده يولد حمق سياسي^(١٠). وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية أصبحت الواقعية النموذج المعرفي المهيمن على العلاقات الدولية، وسيطرت على تفكير الأكاديميين وصناع السياسة الخارجية الأمريكية خلال النصف الثاني من القرن العشرين طوال سنوات الحرب الباردة، وقدمت النظرية الواقعية تفسيرات بسيطة وقوية للحروب والتحالفات والعقبات التي عاقت التعاون الدولي وظواهر السياسة الدولية الأخرى.^(١١)

وقد اعتمدت نظرية الواقعية على مفاهيم خاصة لفهم تعقيدات السياسة الدولية وتفسير السلوك الخارجي للدول، لعل أبرزها (الدولة، القوة، المصلحة، العقلانية، الفوضى الدولية، التقليل من دور المنظمات الدولية الاعتماد على الذات، هاجس الأمن والبقاء) وباتت تلك المفاهيم بمثابة مفاتيح اعتمدها كل المقاربات الواقعية.

وقد مر تيار الواقعية في العلاقات الدولية بعدة تطورات وشهد كثير من المراجعات تبلور عنها عدة اتجاهات، بدايةً مما عرف بالواقعية التقليدية Classical Realism والتي عدلت لاحقاً بنهاية العقد السابع للقرن العشرين نتيجة للتحويلات التي شهدتها بنية البيئة الدولية، فأضيفت إليها أطروحات جديدة في إطار ما عرف بالواقعية البنوية Structural Realism. وفي ثمانينات القرن العشرين شهدت الواقعية تطوراً آخر في إطار ما عرف بالواقعية البنوية الجديدة Neo-Structural Realism التي كشفت بدورها عن اتجاهين (دفاعي Defensive Realism وهجومي Offensive Realism) كما شهدت تلك الفترة اتجاهاً آخر وصف بالواقعية الكلاسيكية الجديدة Neo-Classical Realism وقد حاولت الواقعية على اختلاف مسمياتها وأطروحاتها تقديم تفسيرات مقبولة لما تشهده العلاقات الدولية.

(١٠) هانس مورجنثاو، ت: خيرى حماد، السياسة بين الأمم: الصراع من أجل السلطان والسلام (الدار القومية للطبعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥) ص ص ٣١،

(١١) أنور محمد طه، مرجع سابق، ص ص ٢٢٠-٢٢٣

التحررية Liberalism

واحدة من النظريات الشائعة والمدارس الرئيسية في العلاقات الدولية، وترجع نشأتها إلى الفكر التنويري، وتسعى في أساسها الأول بكل الوسائل من أجل تحقيق السلام الدائم والتعاون في العلاقات الدولية، والليبرالية في حقيقتها ليست اتجاها واحدا ومفاهيم واضحة، إنما هي عبارة عن عدد من المدارس وتطورت من خلال المزج بين هذه المدارس وأفكارها المختلفة، وتمتد الليبرالية بجذورها في التاريخ حتى تصل إلى أفلاطون وفلاسفة الإغريق ثم ابن سينا وفلسفة الإسلام، وترجع في أصولها الحديثة إلى مونتسكيو وجون لوك وتضم النظرية الليبرالية في العلاقات الدولية مجالات واسعة للدراسة منها:

- نظرية السلام الديمقراطي أو الليبرالي: وبشكل أعم التأثير السياسي المحلي والسياسة الداخلية للنظم في العلاقات الدولية، وترسي قاعدة أن لا حرب بين الدول الليبرالية، وأيدت الدول الاستعمارية هذه النظرية في العلاقات الدولية، وأتبعته بعدة نظريات أخرى تنظم العلاقة بين السلام والليبرالية.

- نظرية السلام التجاري: محتجة بأن التجارة الحرة قد عكرت صفو العلاقات الدولية، كما أن العولمة تضمن طريقا ممهدا لهذا الاتجاه.

- نظرية السلام المؤسسي: الذي يسعى لإظهار كيف يمكن أن يستمر التعاون في الفوضى، كيف يمكن تقديم المصالح طويلة الأجل على المصالح قصيرة الأجل، وكيف تتبنى المؤسسات المكاسب المطلقة بدلا من المكاسب النسبية، المتعلقة بتأثير المنظمات الدولية على السياسة الدولية.

وتؤمن الليبرالية بدور القانون الدولي في تحدي سلوك الدولة أو تعديله. تأثير المعايير الليبرالية في السياسة الدولية، لاسيما العلاقات بين الدول الليبرالية. ودور مختلف أنواع الاتحادات في السياسة الدولية، مثل حلف شمال الأطلسي، حلف وارسو (في فترة الحرب الباردة) والاتحادات الناشئة مثل الاتحاد الأوربي، منظمة الوحدة الأفريقية، دول مجلس التعاون الخليجي، وغيرها.

والتحريية الجديدة New Liberalism أو الليبرالية الاجتماعية ذات ميول اشتراكية، إذ إنها تهتم بالعدالة الاجتماعية، وتهدف إلى التوفيق بين حقوق الفرد والجماعة، وتسمح للدولة بالتدخل، ووضع معايير أكثر إيجابية للتحقق من وجود فرص متساوية للأفراد لنيل الحرية وتحقيق النجاح. وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قامت مجموعة من الليبراليين الجدد في بريطانيا بنقد سياسة عدم التدخل في الليبرالية الكلاسيكية وأيدوا تدخل الدولة الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، حيث يرى الليبراليون الجدد (ومنهم توماس هيل جرين و ليونارد ترلوني هوبهاوس و جون هوبسون) أن الليبرالية والحرية الشخصية شيء لا يمكن للفرد تحقيقه الا في ظروف اجتماعية واقتصادية ملائمة.

وقد ظهر في الغرب مفهوم جديد باسم Neo-liberalism مناوئ للتحريية الجديدة وهو مصطلح يستخدم في الوقت الحاضر للإشارة إلى مذهب رأسمالي يؤيد اقتصاد عدم التدخل وعدم الاكتراث بالعدالة الاجتماعية.

وتعد قضية الخصوصية وحرية الفرد من أهم مفردات الحديث عن الليبرالية، لارتباطها بصلب الفكرة أو الأيديولوجية الليبرالية، وهي قيمة الحرية. والإنسان لا يكون حرا إلا إذا عاش في بيئة حرة مع أحرار، أي أن الانسان يكون حرا بمقدار ما يعطي غيره حريته؛ ففي مجتمعات ما بعد العولمة طغت المادة والعلمانية على المجتمعات الإنسانية، وانحرفت الدعوة للمذهب الإنساني التأسيسي الذي يدعو إلى التعايش المشترك بين الثقافات انحرفت إلى دعوة لصهر جميع المجتمعات في العولمة، فرفعت شعار "من يعيش خارج العولمة سيظل خارج الزمان والمكان وسيعيش حياة بدائية متخلفة" والعولمة نزعة عنصرية متوحشة- في رأي عبد الله الغدامي- بيضاء غير ملونة، إذ إنها تسعى لفرض نموذج ثقافي واحد يسعى لتغيير البنية الفكرية للمجتمعات الإنسانية، بما لا يتناسب مع طبيعتها وما تأسست عليه من قيم وأديان. وتعتبر المجتمعات والأيديولوجيات غير القابلة للذوبان في العولمة عدو يجب

التخلص منه، مثال الإخوان في مصر وحماس وأقرانها في غزة وحزب الله في جنوب لبنان أو الإسلام السياسي عامة.^(١٢)

البنوية Constructivism

البنوية^(١٣) منظور للعلاقات الدولية تهتم بالبنوي الاجتماعية وترتكز مع الليننية علي الأساس الطبقي أو المصلحة، اعتمدت النظرية البنوية علي مجموعة من المنطلقات هي: المجتمع الدولي وهو اخطبوط متعدد الرؤوس له خراطيم طويلة تمتص بواسطتها ثروات المناطق المحيطة، أما الفواعل فهم الطبقات وتضم في الدول الراسمالية الطبقة الرأسمالية الغنية والطبقة الفقيرة، والدول الاشتراكية. و اساس تحليل البنوية هو الاقتصاد بالدرجة الاولي، أما وظيفة تحليل العلاقات الدولية هو شرح التناقضات بين الفقراء والاعنياء. تدرس البنوية التقسيم الطبقي العالمي و الثروة والقوة السياسية. أما النظرية التبعية في تحليل العلاقات الدولية: فهي نتاج للمدرسة التبعية في امريكا الاتينية. وتعتمد في تحليلها علي التبادل غير متكافئ بين البلدان الراسمالية التي تنتج الموارد والسلع المصنعة وتبيعها باسعار مرتفعة، وبين الدول التي عانت ويلات الاستعمار وتلك التي تنتج المواد الأولية والخامات. سيطرت الدول الرئسمالية علي العوامل الرئيسية للتبادل ورأس المال. ومن بين موانع التبعية: استقلال المركز للمحيط، التشويه البنوي، قمع السياسات الاستقلالية في المناطق المحيطة.

استطاعت النظرية البنوية تحرير الطبقة العاملة من أيدي البرجوازية، والقضاء ولو جزئيا علي الاستغلال الدولي. وتسليط الضوء علي القضايا المهمشة، وقدمت تفسيراً منطقياً للحروب و النزاعات الدولية، لكن من سلبياتها أنها ركزت علي الجانب الاقتصادي و أهملت العوامل الأخرى الإنسانية، كما دعت الي زوال الدولة و الوصول الي الشيوعية.

(١٢) عبد الله الغدامي، الليبرالية الجديدة - أسئلة في الحرية والتفاوضية الثقافية (المركز

الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٣) الفصل الأول

(١٣) امتدت البنوية إلى الأدب وهي تقوم على التفكيك وإعادة الربط، وتهتم بالبنوية الدلالية الداخلية للنص (البنائية) لغويا وتهمل إلى حد كبير الاعتبارات الخارجية للنص ومبدعه مثل المعطيات التاريخية وحالة المبدع النفسية والاجتماعية

المناهج أو المقاربات التقليدية Traditional Approaches

وتضم المناهج التقليدية التي تعالج العلاقات الدولية مجموعة من المناهج التي تستخدم في العلوم الأخرى ومنها المنهج التاريخي، المنهج القانوني، المنهج الذي يركز على فكرة المصالح القومية، والمنهج المثالي، وفيما يلي تفصيل هذه المناهج:

المنهج التاريخي Historical approach:

يعد المنهج التاريخي أكثر المناهج شيوعاً وأقدمها منذ نشأة العلاقات الدولية كعلم أكاديمي، ويركز على تطور العلاقات الدبلوماسية بين الدول، والجذور التاريخية لقضايا العلاقات الدولية، ويعتقد أنصار هذا المنهج أنه الأكثر قدرة على تحري أسباب الظاهرة وتحليل واقعها والتنبؤ بمستقبلها، بل التنبؤ بتصرفات الساسة من خلال دراسة ماضيهم وماضي دولهم، وإذا كانت الماركسية تتحيز للمنهج التاريخي فإن الغرب الرأسمالي يعتبره غير كاف لدراسة العلاقات الدولية.

المنهج القانوني Legal approach:

يركز المنهج القانوني على دراسة الموضوعات من زاوية القانون الدولي، ومن ثم فهو يركز على المعاهدات الدولية والاتفاقيات، وتحليل العنصر الولي في علاقات الدول، ويبحث في الجوانب القانونية في علاقات الدول، ويحاول التمييز بين ما هو مشروع وما هو غير مشروع من وجهة النظر القانونية، كما يهتم بدراسة التكيف القانوني لموضوع الاعتراف بالدولة ونظام الحكم فيها، والآثار المترتبة على الاعتراف أو عدمه في علاقات الدول بعضها ببعض، وكذا التكيف القانوني للحروب زكيفية تسوية المنازعات الدولية بالطرق القانونية والدبلوماسية. وقد ازدهر هذا المنهج في مطلع القرن العشرين، لاسيما مع عصر المنظمات الدولية التي تعتمد قوانين لحفظ السلام والأمن وتنظم الحروب.^(١٤)

منهج المصالح القومية National interest approach:

إذا كانت المصلحة القومية للدولة هي المحرك الرئيسي للسياسة الخارجية للدولة فإن هذا المنهج يهتم بهذا الجانب ويعتبره محور دراسة

(١٤) علي عوده العقابي، العلاقات الدولية دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات (الدار الجماهيرية، ليبيا، د.ت) ص ١٦

الظاهرة، ومن مزايا هذا المنهج الواقعية، فهو يجرّد السياسة الخارجية من التبريرات المفتعلة وغير الواقعية التي تحاول أن تنسبها إلى هذه السياسات. وتظل فكرة المصالح القومية خطأ مستمرا بصرف النظر عن شخصية الزعيم.

المنهج المثالي Idealist approach:

يعد المنهج من المناهج العريقة في العلاقات الدولية، لكنه ليس له حظ كبير فهو يتعارض مع رغبات الدول الكبرى الجامعة دائما للسيطرة والتملك، ويعتمد المنهج المثالي على جملة من المبادئ والمثل التي يعتنقها دعاة هذا المنهج، فيحاول إقامة نظاما دوليا وفق المثل التي يدعون إليها. ويقوم هذا المنهج على الخضوع لسلطة القانون الدولي والالتزام بقيم المجتمع الدولي وتعكس ديباجة ميثاق الأمم المتحدة جوهر هذا المنهج.

فكرة حقوق الإنسان The Idea of Human Rights

المفترض أن حقوق الإنسان حقوق أصيلة لكل إنسان بغض النظر عن جنسه أو لونه أو دينه أو لغته أو وطنه أو مكان إقامته. وللإنسان الحق في المأكل والمشرب والتعليم وحرية التعبير، وتضمن هذه الحقوق الأعراف والمعاهدات والمواثيق الدولية، ويرسي القانون الدولي لحقوق الإنسان التزامات على الحكومات بالحل والتحرير من أجل تعزيز حقوق الإنسان وحمايتها وضمان الحريات الأساسية للأفراد والجماعات. وقد صدر إعلان عالمي لحقوق الإنسان في عام ١٩٤٨ تضمن هذه الحقوق وتلك الحريات، وألزم مؤتمر فيينا العالمي لحقوق الإنسان ١٩٩٣ جميع الدول بحماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية بصرف النظر عن نظمها السياسية والاقتصادية والثقافية، وهناك العديد من الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان وقعت كل الدول على واحدة على الأقل من هذه الاتفاقيات.

وتشمل اتفاقيات حقوق الإنسان والقانون الدولي مبدأ المساواة وعدم التمييز، وقد خصصت اتفاقيات دولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري والتمييز ضد المرأة، فقال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق. وتحذر

الاتفاقيات على الدول التدخل في تمتع الإنسان بجميع الحقوق والحريات سواء بالمنع أو التقييد، كما يطالبها بحماية الأفراد والجماعات من انتهاكات حقوق الإنسان، ويجب على الدول اتخاذ التدابير اللازمة لتيسير التمتع بحقوق الإنسان الأساسية. ويضمن القانون التزام الأفراد باحترام حقوق الإنسان الخاصة بالآخرين.

ومسألة حقوق الإنسان نسبية تختلف من دولة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى، حسب النمط السياسي المستخدم والوضع الديمقراطي في الدولة، والحالة الاقتصادية والاجتماعية ولعل مقارنة الصور التالية تبين فوارق حقوق الإنسان بين الدول، فالصورة رقم (١) تبين حقوق التعليم في دول العالم الثالث، والصورة رقم (٢) تبين حالة التعليم في اليابان، كما توضح الصور من ٣- ٦ أوضاع السجون في اليابان ودول العالم الثالث من الداخل والخارج، وكلها مجرد أمثلة بسيطة على أوضاع حقوق الإنسان في الدول المتقدمة وفي دول العالم الثالث، ناهيك عن المعاملة والطعام والشراب والأحوال الصحية.



صورة رقم (١) التعليم في دول العالم الثالث



صورة رقم (٢) التعليم في اليابان



صورة رقم (٣) السجون في اليابان من الخارج



صورة رقم (٤) سجون العالم الثالث من الخارج



صورة رقم (٥) السجن من الداخل في اليابان



صورة رقم (٦) السجن في دول العالم الثالث من الداخل

أما الهيئات التي تعمل في مجال حقوق الإنسان فتعمل تحت إشراف مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة التي تقدم الخبرات والدعم للمؤسسات الحكومية والأهلية لرصد حقوق الإنسان ومدى امتثال الدول الأطراف بالتزاماتها التعاهدية. وتتضمن هيئات الميثاق الآن مجلس حقوق الإنسان الذي حل عام ٢٠٠٦ محل لجنة حقوق الإنسان، ويتكون من ٤٧ دولة من دول منتخبة من دول الأمم المتحدة لمدة ٣ سنوات، ومجلس حقوق الإنسان يختلف عن المفوضية السامية لحقوق الإنسان، وللمجلس أن يختص فرد أو مجموعة أفراد بمهام خاصة في بحث أوضاع حقوق الإنسان، ويعملون على أساس تطوعي، ويسمون الإجراءات الخاصة، ويقدمون تقارير لمجلس حقوق الإنسان، وهناك عشر هيئات ترصد تنفيذ المعاهدات الدولية الأساسية لحقوق الإنسان وهي:

- اللجنة المعنية بحقوق الإنسان (CCPR)
- لجنة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (CESCR)
- لجنة القضاء على التمييز العنصري (CERD)
- لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة (CEDAW)

- لجنة مناهضة التعذيب (CAT)
- اللجنة الفرعية لمنع التعذيب (SPT)
- لجنة حقوق الطفل (CRC)
- اللجنة المعنية بالعمال المهاجرين (CMW)
- اللجنة المعنية بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (CRPD)
- اللجنة المعنية بالاختفاء القسري (CED)

العولمة Globalism

العولمة هي ترجمة للمصطلح الإنجليزي Globalization والبعض يترجمها بالكونية، وتحليل الكلمة بالمعنى اللغوي يعني تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، يقول "عبد الصبور شاهين" عضو مجمع اللغة العربية: "فأما العولمة مصدراً فقد جاءت توليداً من كلمة عالم ونفترض لها فعلاً هو عولم يعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي ... وأما صيغة الفعللة التي تأتي منها العولمة فإنما تستعمل للتعبير عن مفهوم الأحداث والإضافة، وكثرت الأقوال حول تعريف معنى العولمة حتى أنك لا تجد تعريفاً جامعاً مانعاً وذلك لغموض مفهوم العولمة، واختلافات وجهة الباحثين فتجد للاقتصاديين تعريف ، وللسياسيين تعريف، وللإجتماعيين تعريف وهكذا، ويمكن تقسيم هذه التعريفات إلى ثلاثة أنواع: ظاهرة اقتصادية، وهيمنة أمريكية، وثورة تكنولوجية واجتماعية. فعرفها الصندوق الدولي بأنها: "التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم والذي يحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله. وقال أحد الباحثين معرفاً للعولمة "العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه ، وهو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات ، على بلدان العالم أجمع". وعرفها بعضهم بأنها : "الاتجاه المتنامي الذي يصبح به العالم نسياً كرة اجتماعية بلا حدود . أي أن الحدود الجغرافية لا يعتبر بها حيث يصبح العالم أكثر اتصالاً مما يجعل الحياة الاجتماعية متداخلة بين الأمم."

والعولمة انسلاخ عن قيم ومبادئ وتقاليد وعادات الأمم وإلغاء شخصياتها وكياناتها وذوبانها في الآخر، فالعولمة تنفذ من خلال رغبات الدولة الأعظم بحيث تقضي على الخصوصيات تدريجياً من غير صراع إيديولوجي، فهي " تقوم على تكريس إيديولوجيا " الفردية المستسلمة" وهو اعتقاد المرء في أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته ، وأن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه ، فنقوم بإلغاء كل ما هو جماعي ، ليبقى الإطار "العولمي" هو وحده الموجود، فهي تقوم بتكريس النزعة الأنانية وطمس الروح الجماعية، وتعمل على تكريس الحياد وهو التحلل من كل التزام أو ارتباط بأية قضية، وهي بهذا تقوم بوهم غياب الصراع الحضاري أي التطبيع والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري، وبالتالي يحدث فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة، مما يفقد الهوية الثقافية من كل محتوى، فالعولمة عالم بدون دولة، بدون أمة، بدون وطن إنه عالم المؤسسات والشبكات العالمية. وكانت ورئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارجريت تاتشر قد اقترحت فكرة العولمة يؤيدها في ذلك الرئيس الأمريكي السابق رولاند ريجان، ووجهة نظر تاتشر الاقتصادية، والتي عُرفت بالتاتشرية، انبثقت من الاستحواذ اليهودي للمال والعتاد ... حيث أن فكرتها الاقتصادية والتي صاغها اليهودي جوزيف وهي تهدف بجعل الغني أغنى والفقير أفقر.

ويقول بات روبرتسون إن النظام العالمي الجديد نظام ماسوني عالمي، ويدلل على ذلك بأن على وجهي الدولار مطبوع علامة الولايات المتحدة، وهي عبارة عن النسر الأمريكي ممسكاً بغصن الزيتون رمز السلام بأحد مخالبه، وفي المخلب الآخر يوجد ١٣ سهماً رمز الحرب، وعلى الوجه الآخر هرم غير كامل، فوّه عين لها بريق المجد، وتحت الهرم كلمات لاتينية (Novus Order Seclorum) وهي شطرة من شعر فرجيل الشاعر الروماني القديم معناها " نظام جديد لكل العصور" إن الذي صمم علامة الولايات المتحدة هذه هو تشارلز طومسون ، وهو عضو في النظام الماسوني وكان يعمل سكرتير للكونجرس، وهذا الهرم الناقص له معنى خاص بالنسبة للماسونيين ، وهو اليوم العلامة المميزة لأتباع حركة العصر الجديد. " وبعد تحليل ليس بطويل يصل المؤلف

إلى وجود علاقة واضحة تربط بين النظام الماسوني والنظام العالمي الجديد.

النظريات السياسية في ظاهرة الاستعمار

شهدت الحقبة الاستعمارية خارج القارة الأوربية صراعا مريرا فاخفتت قوى مثل أسبانيا والبرتغال وظهرت قوى أخرى مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا وأخيرا ألمانيا. وقد حكم هذا الصراع عدة نظريات منها:

○ نظرية توازن القوى The balance of power

يُعد مصطلح توازن القوى من أكثر المصطلحات غموضاً وتعقيداً وأكثرها افتقاراً إلى الدقة والوضوح، ومع هذا بُذلت محاولات كبيرة، إن مصطلح توازن القوى تعبيراً مجازياً عن كل توازن دولي ومن ثم عن كل نسق دولي في حالة توازن، وتوازن القوى من حيث هو مفهوم عام من مفاهيم علاقات القوى وتوزيع القوة في المجال الدولي. وإنه بكل الاحوال لا يعني أكثر من الابقاء على حالة ما في حالات التوازن الدولي بحيث لا تستطيع أية دولة أو أكثر أن تهاجم غيرها من بدون سبب مقبول، ولكن طالما هناك صراع مستمر من أجل القوة وزيادتها من قبل كل دولة، فليس من الصحيح القول إن سياسة توازن القوى تهدف أساساً إلى حفظ السلام أو المساهمة في العمل على إقرار حُسن التفاهم الدولي، إذ ليس في هذا النظام ما يمنع قيام الحروب أو استخدام وسائل الإكراه لتحقيق التوازن الدولي في القوى، وإنطلاقاً من هذا الفهم يمكننا القول بأن سياسة توازن القوى هي " السياسة التي تهدف في صورتها المجردة إلى منع الجماعة الدولية أية دولة من

أن تزيد من قوتها إلى حد يهدد الدول الباقية، إن هذه التعريفات تفترض وجود تكافؤ بين الدول جميعاً من حيث القوة العسكرية بما يؤدي إلى تحقيق التوازن بينها، كما أن هذه التعريفات تؤكد بأن مبدأ توازن القوى يؤدي دوره في المحافظة، على استقرار الجماعة الدولية نوعاً، كما ان نظام توازن القوى يشكل حجر الزاوية عند النظرية الواقعية لأنه يعد من وجهة نظرها البديل عن الفوضى التي لا بد وان تستشري في المجتمع الدولي الذي لا توجد فيه سلطة أو حكومة عالمية تتولى السيطرة عليه.

وتعد الفترة من معاهدة وستفاليا ١٦٤٨ حتى قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩ العصر الذهبي الاول لتوازن القوى، أما العصر الثاني لتوازن القوى في القرن التاسع عشر فقد بدأ على وجه التحديد من عام ١٨١٥ حتى قيام الحرب العالمية الأولى، والذي كان يعتمد أساساً على وجود عدد محدود من القوى الرئيسية المعنية بالحفاظ على السلام وهذا ما سُمي بتوازن القوى التقليدي، إن نظام توازن القوى يعد القانون الأساسي الذي يحكم العلاقات السياسية الدولية، وإن الالمام بالفرضيات النظرية التي يبني عليها هذا النظام وإدراك الحقائق الرئيسية التي تحيط بتطبيقه في الواقع العملي، قد يساعد إلى حد كبير في توضيح بعض الاعتبارات الهامة، ومن هنا يجب علينا أن نوضح ماهية الفكرة وراء هذا النظام.

إن الفكرة الكامنة وراء هذا النظام هي أن الطابع المميز للعلاقات الدولية هو الصراع ولكن هذا الصراع لا تفرضه عوامل التباين والاختلاف في المصالح القومية للدول فقط، وإنما في محاولة كل دولة لزيادة رقعتها أو قوتها على حساب غيرها من الدول، وإنطلاقاً من هذا الفهم نستطيع القول: إن الدولة التي تحصل على تفوق كبير في قواها سوف تهدد حرية الدول الأخرى واستقلالها، الأمر الذي سيدفع بالدول المحدودة القوة إلى مواجهة القوة بالقوة عن طريق التكتل والتمحور في إئتلافات قوى مضادة، ومن هنا يحقق توازن القوى بمفهومه هذا هدفين هاميين:

الأول: حفظ السلام الإقليمي والدولي

الثاني: حماية استقلال الدول الاعضاء في هذه المحاور والتكتلات وإنطلاقاً من هذا الطرح يمكن القول إن نظام توازن القوى يعتمد على ركيزتين هما:

الأولى: إن جميع الدول الاطراف الداخلة في تجمعات القوى المضادة ومحاورها يجمعها هدف واحد، هو الحفاظ على الاستقرار السائد في علاقات القوى وردع العدوان.

الثانية: يتحقق التوازن في أي موقف دولي عن طريق قدرة هذا النظام "توازن القوى" على توليد ضغوط متعادلة ومتضادة، وبذلك يمكن تقادي أي خلل في علاقات القوى القائمة.

أنواع توازن القوى

أدت الحرب العالمية الثانية إلى تغيير في تركيب النظام الدولي السياسي وفاعليته، الأمر الذي دعا بعض الكتّاب للقول بأن عهد نظام توازن القوى قد انتهى، وأن أنماطاً جديدة قد حلت بدلاً منه. وعلى الرغم من ذلك، هناك رأي آخر يرى أن نظام توازن القوى مازال فاعلاً، وأنه لا زال يشكل وسيلة نافعة ومجدية في العلاقات السياسية الدولية. ومن أجل دراسة هذه الموضوعات بشكل جيد وما طرأ عليها من تغييرات لابد من العودة إلى الاصول التاريخية للنظام منذ العهود القديمة.

✓ **توازن القوى التقليدي:** لقد عرفت الدول القديمة ظاهرة توازن القوى فسعت لزيادة قوتها النسبية ذاتياً أو بالاستيلاء على أقاليم متاخمة أو عن طريق التحالفات مع القوى الأخرى، وكانت تجابه بمحاولات مماثلة من جانب منافسيها، وذلك إما لمنعها من ترجمة تلك الزيادة في القوة إلى انتصارات جديدة، وإما بهدف التوازن معها، عندئذ تستطيع تجميد مكاسب جارتها. وقد أدى الفشل في توازن القوى قديماً إلى ظهور إمبراطوريات كبرى مثل دولة الفراعنة والإمبراطورية اليونانية ثم الرومانية والإمبراطورية الفارسية. وفي العصور الوسطى انشغل الأمراء والاقطاعيون في إعداد خطط جديدة على نمط نظام توازن القوى، مع فارق بسيط تمثل في ضيق المساحة الجغرافية التي اقتصر عليها التوازن، كما لجأ أولئك الأمراء والاقطاعيون إلى أساليب المصاهرة وتوزيع الإقطاعيات الضعيفة فيما بينهم وكذلك إلى الحروب لتحقيق التوازن بصورة أو بأخرى.

○ وفي العصر الحديث شهد القرن الخامس عشر توجهاً دبلوماسياً وعسكرياً إلى مبدأ توازن القوى في وقت كانت أوروبا فيه بأمس الحاجة إلى التوازن، ظهر ذلك جلياً في الحروب الدينية التي انتهت بتوقيع معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨ التي أقرت مبدأ توازن القوى^(١٥) إلا أنها لم تضع حداً نهائياً للحروب والتي استمرت بعد

(١٥) وضعت معاهدة وستفاليا نهاية للحروب الدينية التي مرت بأربعة أطوار هي الدور البوهيمي (١٦١٨-١٦٢٥) والدور الدانمركي (١٦٢٥-١٦٢٩) والدور السويدي (١٦٣٠-١٦٣٥) وأخيراً الدور الفرنسي-السويدي (١٦٣٥-١٦٤٨) وتورطت فيها معظم الدول الأوروبية وأوقعت خسائر كبيرة جداً.

ذلك بسبب الخلافات السياسية والقومية التي وضع لها حل في معاهدة أو ترخت عام ١٧١٣، حيث مثلت هذه المعاهدة إشارة فاصلة بين عهد وآخر في تاريخ العلاقات السياسية الاوربية. حيث تضمنت المعاهدة مبدأ توازن القوى ومطالبة الدول القومية الاوربية أن تعمل به وأقرت الدول الاوربية بذلك. ثم بدأ العصر الذهبي الأول والثاني لتوازن القوى ويمثلهما الصراع الاستعماري ثم عصر الثورة الفرنسية والقرن التاسع عشر، وهما يدخلان في الإطار التقليدي. وباندلاع الحرب العالمية الاولى وصولاً لنهاية الحرب العالمية الثانية تكون قد تعطلت فاعلية نظام توازن القوى.

✓ **نظام توازن القوى ذو القطبين:** لقد طرأت تحولات جذرية في السياسة الدولية بسبب الحربين العالميتين الأولى والثانية، فانهارت الإمبراطوريات التقليدية بريطانيا وفرنسا وخرجتا من الحرب، وفي المقابل برزت كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي، واصطبغت العلاقات الدولية بصبغة أيديولوجية، وعاد الصراع العقائدي يطفو على السطح من جديد لاسيما في منطقة المشرق الإسلامي لصالح القوتين العظميين، فاستخدمت أراضيهم ومقدراته في لعبة توازن القوى، كما حدث تغيراً جوهرياً في نوعية القوة العسكرية، حيث أضيف السلاح النووي إلى الأسلحة التقليدية التي كانت سائدة قبل الحرب العالمية الثانية.

✓ **نظام توازن القوى المتعدد الأقطاب:** وإذا كانت القوة النووية هي التي ميزت العلاقات الدولية في أعقاب الحرب العالمية الثانية فقد شهدت الساحة الدولية منذ الستينات بوادر تفكك نظام الثنائية القطبية، حيث لم تعد القوة النووية وقفاً على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بل أصبحت كل من بريطانيا وفرنسا والصين والهند وباكستان وغيرها دولاً نووية، هذا من الجانب العسكري، أما على الصعيد الاقتصادي فقد ظهرت أقطاب جديدة كاليابان وأوروبا الموحدة كأقطاب اقتصادية ومالية، ويبدو أن نظام توازن القوى المتعدد الأقطاب أكثر إستقراراً من القطبية الثنائية، لأن احتمال حدوث الحرب ينخفض طردياً كلما ازداد عدد الدول المساهمة في

النظام. وتستفيد الدول الضعيفة (دول العالم الثالث) من نظام تعدد الأقطاب فتصبح أكثر أمناً واستقراراً.

✓ **توازن القوى في ظل هيمنة القطب الواحد:** بانتهاء المنظومة الشيوعية والاشتراكية في العقد الأخير من القرن العشرين حدث اختلال توازن القوى، في ظل نظام هيمنة القطب الواحد في العلاقات السياسية الدولية. لذا أصبحت قدرة الدول الصغيرة والمتوسطة على التحرك السياسي المستقل في غاية الصعوبة، حتى أن الدب الروسي الوريث الأكبر للاتحاد السوفيتي أصبح يسير في ركاب الولايات المتحدة وإن تظاهر بخلاف ذلك، إذ لم تعد لديه القدرة العسكرية والاقتصادية على المواجهة الكاملة. والنتيجة المترتبة من هذه التطورات هو إنعدام هامش المناورة المستقلة أمام الدول العربية وتدهور مكانتها في النسق الدولي وتراجع أهمية قضاياها. إن الولايات المتحدة تسيطر عليها روح القضاء على الغريم الأيديولوجي قضاء مبرماً، فإذا كانت الولايات المتحدة ومن قبلها حليفها إسرائيل تعتبران العالم الإسلامي عدواً أيديولوجياً للرأس مالية، فإن مستقبل العالم الإسلامي في ظل هذه الأحادية يصبح في خطر، ولعل فكرة الشرق الأوسط الجديد تعد خياراً تعمل عليه الدولتان وتسعيان إليه سعياً حثيثاً.

الوسائل المتبعة في تحقيق مبدأ توازن القوى

عندما تهدف الدول إلى تحقيق مبدأ توازن القوى التقليدي فإنها تقوم باستخدام عدد من الوسائل والأدوات لبلوغ هدفها ، من أهم هذه الوسائل:

- **سياسة فرق تسد Divide and Rule:** وهي تعني العمل على "تفتيت قوة كبيرة قائمة بالفعل إلى قوى صغيرة، أو العمل على عرقلة قيام قوة كبيرة في طريقها إلى الظهور تفادياً لأثرها على ميزان القوة، ولا تقتصر سياسة "فرق تسد" على نظام توازن القوى فحسب، إنها وسيلة تتبع في السياسات الداخلية والخارجية، بغرض زرع الشقاق بين قوى متنافرة كي لا تتحد وتجابه طرفاً آخر، كما فعلت بريطانيا في الهند، التي كانت مهذا لهذه السياسة في فترة الاحتلال البريطاني، كما طبقتها في الدول العربية التي انتزعتها من

الدولة العثمانية، وبعد الاستقلال نجحت في تقسم العالم العربي إلى فريقين متناحرين عما حلف بغداد ودول عدم الانحياز.

● **سياسة الأحلاف Alliances:** وهي إتفاق رسمي بين دولتين أو أكثر للتعاون في قضايا تخص الأمن القومي، كما أن ظاهرة الاحلاف أوسع وأعمق في مضمونها ووظيفتها في العلاقات الدولية عن غيرها من السياسات فهي " وسيلة لتعويض الفروق الفردية بين الدول لتحقيق التوازن بين القوى المتصارعة وكذلك للتصدي لدولة عظمى يصعب مجابتهها فرديا، وهي واحدة من أهم الوسائل الدولية لتحقيق الاستقرار، لكنها سلاح ذو حدين فقد تؤدي إلى الإسراع بالحرب، كما حدث عشية الحرب العالمية الأولى. والمحالفات الدولية تقوم بالدور الأساسي في حفظ التعدد ويبقى عليه. وهناك أنواع عديدة من المحالفات منها المادية المتماثلة أو المتكاملة، ومنها المذهبية، والموقته والدائمة، والحية المتحركة والخامل.

● **سياسة التعويضات الإقليمية:** وهي نوع من المساومات العملية تبنتها أوروبا في معاهدة أوترخت ١٧١٣ ، حيث " اعتبرت التعويضات الإقليمية وسيلة مقبولة ومشروعة للإبقاء على توازن القوى دون تغيير وهو الأمر الذي تكرر في مؤتمر برلين الأول ١٨٧٨ فيما عرف بمبدأ التعويض الأرضي في المستعمرات الأفريقية، لتفادي وقوع مشكلات بين الدول الاستعمارية الأوروبية، وهو ما حدث عندما تقابل الجيش الفرنسي في فاشودا ١٩٠٢ وأسفرت التعويضات عن الاتفاق الودي ١٩٠٤، وهو الأمر الذي تكرر بين ألمانيا وفرنسا في الأزمة المغربية الثانية، وبعد بسمارك من مهندسي هذه السياسة.

● **المناطق العازلة Buffer Zones :** وهي منطقة تفصل بين دولتين متصارعتين، وقد تكون المنطقة العازلة نفسها موضع نزاع بين الدولتين بحيث إذا هيمنت عليها إحداها ستضعف قوة الأخرى. وقد يكون من مصلحة هاتين القوتين أن تتفقا على جعل المنطقة بعيدة عن سيطرتهم، وبذلك تضمنان علاقات سياسية هادئة. كما حرصت بريطانيا على الفصل بين فلسطين إبان الانتداب وكل من السعودية والعراق بإمارة شرق الأردن التي

تأسست سنة ١٩٢١ لتشكل دولة حاجزة بين الدول المذكورة والكيان الصهيوني المزمع إنشاؤه في فلسطين.

• **التسلح Arms:** يتأثر توازن القوى بين أي دولتين متأثراً مباشراً بالتسلح، وبعد سباق التسلح سبباً رئيسياً وراء الاختلال المستمر في توازن القوى، وسبب في خلق شعور بعدم الأمن والاستقرار، وهكذا وجدت الدول نفسها تدور في حلقة مفرغة في ظل شعورها بأن توازن القوى لن يكون أكثر من عملية نسبية وموقته، ومن أمثلة ذلك دخول ألمانيا في سباق تسلح بري مع فرنسا وسباق تسلح بحري مع بريطانيا قبيل الحربين العالميتين. وما حدث بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إبان الحرب الباردة خير دليل على ذلك. ويقابل التسلح الرقابة على التسلح أو نزع التسلح وهو إتجاه آخر لحفظ توازن القوى وتعني به المنظمات الدولية وفي مقدمتها الأمم المتحدة التي أولت هذه القضية اهتماماً كبيراً منذ قرارها رقم ١٣١٨ الصادر سنة ١٩٥٩ نداءاتها بضرورة نزع السلاح، لكن المنظمة الدولية تعاني من ازدواجية في تطبيق قرارات نزع السلاح بما فيه النووي، ومن أكبر الدلائل على ذلك منطقة الشرق الوسط بما فيها إسرائيل.

• **التدخل Intervention:** سياسة اتبعتها الدول الكبرى من أجل

ضمان وجود نظام حكم

موال لها في مستعمراتها السابقة يكون أكثر ولاء وارتباطاً لهذا التحالف، لتدور في فلكها اقتصادياً وسياسياً لزيادة ثقلها في المجتمع الدولي وذلك منعاً لها من الضعف والانهيار بما يترتب على ذلك من إخلال، والتدخل على العموم له نوعان:

أ. **التدخل الدفاعي Defensive Intervention:** ويعني حرص دولة ما على عدم تغيير النظام السياسي الداخلي لدولة من الدول في إتجاه لا يلائم مصالحها، وإذا حدثت ثورة أو تغيير في النظام السياسي تتدخل لإحباط هذا التغيير واسترجاع الوضع السياسي الى ما كان عليه في السابق؛ ومثال ذلك تدخل الحلفاء العسكري سنة ١٩١٨ في روسيا من أجل الإطاحة بالثورة البلشفية وإعادة الوضع الى ما كان عليه في زمن القيصر.

ب. **التدخل الهجومي Offensive Intervention**: ويعني التدخل لإسقاط حكم معين وتغييره كأداة لتبديل توازن القوى، ومنها تدخل المانيا وإيطاليا لقلب نظام الحكم في اسبانيا ١٩٣٦ - ١٩٣٩ بمساندتها للجنرال فرانكو.

○ الأمن الجماعي Collective Security

بعد أن فشل نظام توازن القوى في حفظ السلام والأمن الدوليين ظهر بعد الحرب العالمية الأولى نظام الأمن الجماعي، ويهدف إلى الحيلولة دون تغيير الواقع الدولي أو الاخلال بأوضاعه وعلاقاته أو تبديلها في الاتجاه الذي يخدم مصلحة أي من الدول على حساب غيرها،

عن طريق اتخاذ إجراءات وتدابير دولية جماعية كقوة ضاغطة، ويحاول نظام الأمن الجماعي أن يتصدى العنف المسلح كأسلوب لحل المشكلات، ويعتمد الحلول والوسائل السلمية. وهي فكرة مثالية تحمل الجماعة الدولية كلها مسؤولية أمن كل عضو من أعضائها، ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى فأقرزت أول منظمة دولية للسلام هي عصبة الامم ثم تطورت في أعقاب الحرب العالمية الثانية في شكل هيئة الأمم المتحدة.

واختلفت آراء الدول المنتصرة حول المنظمة الدولية التي تأخذ على عاتقها ضمان الأمن الجماعي. وكانت هناك فكرة بريطانية وأخرى فرنسية وثالثة أمريكية، وعلى الرغم من التباين والاختلاف في هذه الآراء، إلا أن الجهود كانت تصب بشكل عام في تأمين السلام والأمن الجماعي. فكانت الفكرة البريطانية تدعو الى تكوين مجلس دائم يجتمع دوريا وكلما دعت الضرورة، ويجري فيه الإتفاق على استخدام جيوش دول العصبة بهدف القضاء على كل نشاط عسكري تقوم به أية دولة تثبت لمجلس العصبة عدوانها. أما الفكرة الفرنسية فكانت ترمي الى إنشاء عصبة من الحفاء يتفقون على توحيد مواردهم وإنشاء جيش موحد لهم. وفي الحقيقة إن هذه الفكرة لم تجد من يؤيدها من الدول المنتصرة بخلاف فرنسا صاحبة الفكرة. لكن العصبة نبعت من أفكار الرئيس الامريكي ويلسون، الذي اعتمد في آرائه على الافكار البريطانية، وأكد ان يكون دستور العصبة وميثاقها جزءاً لا يتجزأ من معاهدات الصلح.

كان من المقرر أن تضم العصبة مندوبين يمثلون الدول المنتصرة والدول، وعلى ذلك أنضم إلى الجمعية كأعضاء أصليين " ٤٤ " دولة ذات سيادة، شكلت الدول التي وقعت المعاهدات وعددها " ٣٢ " دولة من الدول المتحالفة في الحرب العالمية الأولى، إضافة إلى ١٣ دولة محايدة دُعيت للانضمام إلى العصبة.

اشتمل ميثاق العصبة على عدة مواد تحتوي نصوصاً ترجمت نظرية الأمن الجماعي إلى واقع دولي محدد فالمادة رقم " ١٠ " من عهد العصبة تؤكد مطالبة الدول الأعضاء التعهد باحترام الاستقلال السياسي والسيادة الإقليمية لكل دولة. وقد تم تأكيد هذا الالتزام في المادة رقم " ١١ " التي أعلنت عن مبدأ المسؤولية الجماعية لدول العصبة إزاء كل ما يقع في المجتمع الدولي من حرب أو تهديد بالحرب. وإذا حدث ما يهدد السلام والأمن الدوليين فعلى السكرتير العام للمنظمة الدولية أن يدعو إلى انعقاد مجلس العصبة في جلسة طارئة للاتفاق حول الإجراءات والتدابير الضرورية اللازم اتخاذها. لكن ميثاق العصبة كان به قصور في المواد المطلوبة لردع المعتدي كما أن مواده لم تتضمن نصاً يحرم اللجوء إلى القوة لحل المنازعات التي تنشأ بين الدول. كما جرى الاتفاق في العصبة على أن تخضع جميع النزاعات إذا ما تضمنت تهديداً للسلام الدولي للتحكيم أو التسوية القضائية أو إحالتها إلى مجلس العصبة. كما تعهدت الدول الأعضاء بالعمل على تنفيذ الأحكام التي تصدر عن محكمة العدل الدولية في لاهاي، أو أي محكمة أخرى تتفق عليها الأطراف المتنازعة وقد جاء هذا التعهد في المادة " ١٣ " من العهد. وأكدت المادة " ١٦ " على أنه " إذا لجأت إحدى الدول الأعضاء في العصبة إلى الحرب متجاهلة بذلك تعهداتها تحت المواد " ١٢، ١٣، ١٥، " ، من عهد العصبة فإن هذا العمل العدوانى يُنظر إليه على أنه موجه ضد كل الدول الأعضاء في العصبة بلا استثناء.

أما عن التطبيق العملي للأمن الجماعي في ظل العصبة؛ فقد ظل منتعشا طوال العقد الأول من عمر المنظمة وتمثلت المحاولة الأولى في مشروع معاهدة المساعدة المتبادلة في عام ١٩٢٣، والتي عدت الحرب العدوانية جريمة دولية، كما أعلنت هذه المعاهدة نبذها للحرب

كونها وسيلة غير مشروعة في العلاقات السياسية الدولية. أما المحاولة الثانية فقد انعكست في التوقيع على بروتوكول جنيف ١٩٢٤ والذي جاء فيه بأن الحرب العدوانية تمثل تهديداً لتضامن الدول الاعضاء في المجتمع الدولي كما أنها جريمة دولية. ولقد جاءت المحاولة الثالثة في التوقيع على معاهدة لوكارنو ١٩٢٥ بين ألمانيا وفرنسا والذي اعترف بالحدود التي حددتها معاهدة فرساي بين الجانبين. وتمثلت المحاولة الرابعة في توقيع ميثاق بريان كيلوج ١٩٢٨ الذي اعلن نبذه للحرب كأداة من أدوات السياسة القومية، كما أكد ضرورة حل النزاعات الدولية بالطرق السلمية. وأن كل النزاعات السياسية وغير السياسية التي لا يمكن تسويتها بالطرق الدبلوماسية لابد أن تحال الى لجان توفيق ثنائية تتبثق من جمعية عصبة الامم. كما تضمنت حل المنازعات ذات الطابع القانوني في محكمة العدل الدولية وكذلك موضوع التحكيم. ونجحت العصبة في حل النزاع الفنلندي السويدي ١٩٢١، والنزاع البلغاري اليوناني عام ١٩٢٥ والنزاع بين كولومبيا وبيرو عام ١٩٣٥م. ومع بداية العقد الرابع من القرن العشرين واجهت المجتمع الدولي مشكلات كبرى عجزت العصبة عن حلها ففي سنة ١٩٣١ لم تستطع العصبة أن تقدم شيئاً من أجل منع العدوان الياباني ضد الصين، وفي سنة ١٩٣٦ لم تفعل شيئاً لوقف العدوان الايطالي على الحبشة، وبداية من منتصف هذا العقد لم تتمكن من منع ألمانيا من ابتلاع النمسا وتمزيق تشيكوسلوفاكيا السوفيتي وتقسيم بولندا مع الاتحاد السوفيتي، كل هذه الامور أدت إلى الكثير من الانسحابات من العصبة، أدت في النهاية الى فشل العصبة في تحقيق السلام والتعاون الدوليين.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهرت الامم المتحدة، فأكدت دعمها لنظام الأمن الجماعي بأقصى ما يمكن توفيره من إمكانيات دولية، وقد ظهرت وتبلورت هذه الاتجاهات بشكل واضح جداً في مؤتمر سان فرانسيسكو ١٩٤٥ الذي أكد قيام منظمة دولية عالمية جديدة تأخذ على عاتقها تثبيت نظام الأمن الجماعي عن طريق استخدام القوة في دعم السلام الدولي. والواقع أن جميع الاتجاهات التي ظهرت كانت تعبر جميعها عن رغبة عامة في تقوية العمل المؤسستي في إطار الأمم المتحدة التي يقوم عليها تطبيق نظام الأمن الجماعي.

ورود في الباب السابع من الميثاق للأمم المتحدة الذي خصص بالكامل لكل ما يتعلق بالتهديدات الموجهة ضد السلام الدولي، ويعكس تطبيقات نظام الأمن الجماعي في ظل الأمم المتحدة. وأعطت المادة ٣٩ من الميثاق لمجلس الأمن لتحديد ما يهدد السلم والأمن. ويقدم في ذلك توصياته أو يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير طبقاً لأحكام المادتين ٤١ و ٤٢ لحفظ السلم والأمن الدوليين.

وحددت المواد ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ من ميثاق الأمم المتحدة إمكانية الاستعانة بجزء من القوات المسلحة لأي من الأعضاء، وعلى الأعضاء تجهيز قوات لتستخدمها الأمم المتحدة في أعمال الردع الفورية أو أعمال القمع الدولية المشتركة. يحدد مجلس الأمن قوة هذه الوحدات ومدى استعدادها والخطط لأعمالها المشتركة، وذلك بمساعدة لجنة أركان الحرب وفي الحدود الواردة في الاتفاق أو الاتفاقات الخاصة المشار إليها في المادة ٤٣، وأشارت المواد ٤٦ و ٤٧ إلى الخطط اللازمة لاستخدام القوة المسلحة على أن توضع بمساعدة لجنة أركان الحرب تحت إشراف مجلس الأمن. وللجنة أركان الحرب صلاحية في أن تنشأ فروعاً لها إذا خولها مجلس الأمن، أما المادة ٤٩ فقد أكدت ضرورة تضافر أعضاء الأمم المتحدة في تقديم المعونة المتبادلة لتنفيذ الاجراءات. أما إذا تضررت أي دولة من تدابير قمعية أو منعية اتخذها مجلس الأمن ضد دولة أخرى فللدولة المتضررة سواء أكانت من أعضاء الأمم المتحدة أم لا أن تتشاور في ذلك مع مجلس الأمن طبقاً للمادة ٥٠ من الميثاق.

وقامت الأمم المتحدة بعدة محاولات من أجل تطبيق نظام الأمن الجماعي، حيث أصدرت توصية الاتحاد من أجل السلام، بهدف إنشاء لجنة للتدابير الجماعية لبحث ودراسة المسائل التي يمكن اللجوء إليها في دعم قوة المؤسسات القائمة على تطبيق نظام الأمن الجماعي. كما أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة توصية تدعو إلى إنشاء قوة طوارئ تابعة للأمم المتحدة بتولي السكرتير العام للأمم المتحدة وتنظيمها والإشراف على تشكيلها.

وقد أدت قوات الأمم المتحدة دوراً مهماً في بعض الأزمات العالمية مثل أزمة السويس ١٩٥٦، وأزمة الكونغو ١٩٦٠، وكذلك في قبرص

وعلى الرغم من النجاحات التي حققتها الأمم المتحدة في حلها لبعض الازمات الدولية، إلا أنها أخفقت في تنفيذ نظام الأمن الجماعي بالشكل الذي طرح في مؤتمر سان فرانسيسكو ١٩٤٥م.

○ نظريات إدارة الصراع الدولي

يخط البعض بين الحرب والصراع وهذا خطأ كبير فالحرب صدام مباشر في الميدان بالسلاح أما الصراع فنزاع طويل الأمد بين الإرادات الوطنية لكنه لا يصل إلى نقطة الحرب المسلحة، وقد تتنوع مظاهره وأشكاله بين الصراع السياسي والاقتصادي وصراع المذاهب. وظاهرة الصراع الدولي ظاهرة معقدة لتعدد اسبابها ومظاهرها ومصادرها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة. وهناك نظيات عديدة لإدارة الصراع الدولي أشهرها ثلاث نظريات رئيسية هي:

أولاً: نظرية التصعيد

وتصعيد الصراع يعني توسيع دائرته أو زيادة حدته، ومن المتغيرات التي تؤثر في تصعيد الصراعات الدولية أو تخفيض حدتها الحدود الجغرافية للصراع وعدد الأطراف المتصارعة وأهداف المتصارعين، وأخيراً عمق التأثير الذي ينتجه هذا الصراع على المستوى الدولي، وهذه متغيرات تحدد افاق التي يمتد إليها الصراع. ومن العوامل التي تؤثر في التصعيد فتتمثل في نوعية الأدوات المستخدمة في إدارة الصراع ونوعية الأسلحة لدى الطرفين وقدرتها التدميرية، فالدول التي تمتلك أسلحة نووية ليست كالتى تستخدم أسلحة تقليدية، وحتى الأسلحة تتباين حسب كميتها ووفرته.

أما العوامل المؤثرة في تصعيد الصراع فتتمثل في:

- توهم أحد الأطراف أن الطرف الآخر سيقدم على تصعيد الصراع فيبادر إلى التصعيد كإجراء ردعي للطرف الآخر. ويقابلها في دول المؤسسات دراسة الحالة قبل اتخاذ أي قرار.
- اعتقاد أحد الأطراف بأن التصعيد سيحقق له مكاسب معينة. وهنا يجب حساب المكاسب والخسائر قبل اتخاذ القرار.
- اعتقاد أحد الأطراف بأن تطور الصراع سيلحق به ضرراً فيعتقد أن التصعيد سيخفف من خسارته.
- اعتقاد أحد الأطراف بأن التصعيد سيلحق ضرراً بالطرف الآخر

- قد يمثل الرأي العام الداخلي ضغطاً في اتجاه التصعيد على غير رغبة من القيادة السياسية أو العسكرية، لذا يجب أن تكون المجموعات المثقفة جماعات ضغط في الاتجاه الصحيح، غذا كان التصعيد لا يخدم القضايا القومية.

- قد يأتي التصعيد نتيجة لتدخل طرف ثالث خارج دائرة الصراع. أما أسباب انتهاء الصراعات الدولية واختفائها فترجع إلى أي من هذه العوامل:

- انتفاء السبب الذي من أجله قام الصراع.
- إعادة ترتيب المصالح مما يترتب عليه تقويم الموقف ووقف الصراع.

- انهيار أحد أطراف الصراع أو استسلامه أو انسحابه من الصراع.

ثانياً: نظرية الردع:

الردع في أبسط تعريفاته هو "براعة تحقيق الهدف دون استخدام القوة العسكرية" قبل العصر النووي كان الردع يتم على أرض الواقع بتجهيز الحصون والقلاع والخطوط الدفاعية كقوة ردع العدو لمن أراد السلام، فلا سلام بلا قوة وإلا سيكون استسلام. أما السلاح النووي فيمثل وجوده قوة ردع وليس استخدامه. والردع يعني تقديم أدلة عينية للعدو وبراهين على القدرة على الثأر إذا لم يرتدع، والردع هو تهديد سيكولوجي مؤيد بأدلة لمنع اتخاذ قرار باستخدام أسلحتها، ويتم الإعلان عن قوة الردع بوسائل دعائية مثل عمل برامج تلفزيونية أو تدريبات علنية لا تمس الأمن القومي بصورة ومذاعة بشكل نشط. ومما لاشك فيه أن الردع المتبادل يحمل في طياته عناصر الاستقرار لاسيما بين القوى النووية.

ثالثاً: نظرية الحرب المحدودة:

وتعني التحكم في حجم الحرب أو نوعية الأسلحة المستخدمة فيها، فإذا كانت الحرب النووية شديدة الخطورة واسعة الانتشار والأثر على قلة تكاليفها هي حرب شاملة فإن الحرب المحدودة تعني التحكم في حجم هذه الحرب بميدان محدد يتفق الطرفان على عدم تخطيه، أو أسلحة معينة من الأسلحة التقليدية يتفق الطرفان على عدم تخطيهها. وقد ظهر هذا المصطلح في ظل الحرب الباردة وتحديداً في سنة

١٩٥٧، والحرب الشاملة لا تستثني أهدافا في الأراضي الأمريكية والسوفيتية، أما الحرب المحدودة فميدانها لا تتضمن أرضا سوفيتية أو أمريكية ومن أمثلتها حرب فيتنام. كما تختلف الحرب المحدودة عن الحرب الإقليمية، إذ الأخيرة مباح فيها كل أنواع الأسلحة التقليدية كما تشمل إقليم كامل بما فيه المدن.

نظرية التفاوض والمساومة

مع زيادة مخاطر الحرب النووية والقوة التدميرية للأسلحة التقليدية كان لابد من اللجوء إلى المفاوضات كوسيلة جديدة لتقليل المخاطر. والنظرية التفاوضية تفرق بين الحوار Dialogue والمفاوضة Negotiation إذ إن الحوار يسبق المفاوضة ويؤدي دورا إيجابيا إليها، وقد يتوقف الحوار مؤقتا أو نهائيا دون الدخول في مفاوضات، وتفترض نظرية التفاوض أن موازين القوى لدى الأطراف لها وزن كبير في نجاح المفاوضات من عدمه، كما أن عنصر الاتصال يمثل عنصرا فاعلا في العملية التفاوضية. والمفاوضات لها عدة مزايا تظهر في التعريفات المختلفة للمفاوضات ومنها:

- أنها وسيلة للتوصل إلى اتفاق.
- محاولة يهدف أطرافها إلى إيجاد قاعدة مقبولة لديهم لتوزيع المنافع والمزايا والحد من المخاطر عليهم وعلى المنطقة كلها.
- أداة مهمة نحو تقييد استخدام العنف في حل ما ينجم من صراعات ومصالح بين الطرفين.
- عملية لتحكيم العقل في تحديد الهدف من الصراعات وتسوياتها، لحساب الربح والخسارة.
- عملية تساومية والنظرية التفاوضية تجعل للمساومات التفاوضية صورتين أساسيتين هما:

أولاً: المساومات التصالحية Accomodative Bargaining

وهي المساومات الشائعة في مواقف النزاع الدولي العادية وتستند في أساسها إلى قاعدة الأخذ والعطاء بين أطراف متفهمين للمزايا التي يسعون لتحقيقها من وراء صراعهم، ويركز هذا النوع من المساومات

على نقاط الاتفاق والمصالح المشتركة وليس على النقاط المختلف أو المتنازع عليها.

ثانياً: المساومات القسرية Coercive Bargaining

وهي مساومات تجري في جو من التهديد والإرهاب والابتزاز واستعراض القوة، وتكون بين طرفين غير متكافئين، بغرض فرض إرادة طرف قوي على طرف ضعيف. ويخطئ الطرف القوي في فرض إرادته، والطيح الأمثل للإدارة المفاوضات هو المرونة المصحوبة بالحكمة. إن المفاوضات أمر حتمي ويجب إدارتها بمرونة دون صلف أو غرور. وقبل أن تبدأ التفاوض عليك أن تجيب على مجموعة من الأسئلة تتعلق بالطرف الآخر لتقف على أرض صلبة في التفاوض معه وهي:

- ما هي رؤيته الاستراتيجية التي يملها عليه وضعه الجغرافي؟
- ما نوعية القيادة السياسية التي تحكم بلاده؟ وما مدى قدرتها على تحقيق الوعود التي قطعتها على نفسها؟
- ما مدى تأييد الرأي العام له ولسياسته الداخلية؟
- ما هي دائرة تحالفاته وصدقاته الدولية؟
- ما هي دائرة عداواته؟

الفصل الثاني

جذور العلاقات الدولية في العصر الحديث

من العلامات التي أذنت بانهايار منظومة العصور الوسطى وميزت العصور الحديثة انهيار نظام الإقطاع وظهور الدولة القومية التي تمثلت في إنجلترا، فرنسا، أسبانيا، البرتغال، السويد، النرويج، الدنمارك، بولندا وروسيا. ولم يحتفظ البابا والإمبراطور إلا بالولايات الألمانية وبعض أقاليم إيطاليا الشمالية. ومع بداية الحروب الدينية التي عرفت بحرب الثلاثين عاما (١٦١٨ - ١٦٤٨) بدأت تتقوض دعائم السلام في القارة الأوروبية، مع انتشار البروتستانتية والصراع بين الدول الكاثوليكية والبروتستانتية، وإذا كانت **معاهدة وستفاليا ١٩٤٨** قد وضعت نهاية حرب الثلاثين عاما، فإنها وضعت لأول مرة أسس النظام الدولي الحديث. ويعد مؤتمر وستفاليا ١٩٤٨ بحق نقطة تحول في تاريخ العلاقات السياسية الدولية، وذلك لأنه كان بالنسبة إلى أوروبا والغرب عموما بمثابة نقطة الانطلاق في تنظيم العلاقات السياسية الدولية على أسس جديدة واضحة المعالم.

إن السلام الذي أقامته معاهدة وستفاليا على مبدأ توازن القوى، لم يكن سلاما رومانيا فرضته الإمبراطورية الرومانية على الشعوب التابعة لها ولم يكن سلاما مسيحيا فرضته الكنيسة على رعاياها من الملوك والأمراء، بل كان سلاما خططت له فرنسا بإقامة تحالف للقضاء على الإمبراطورية الرومانية مع الاحتفاظ دائما بالمساواة في القوة بين الدول العظمى بحيث يمكن منع أي دولة من أن تصل إلى درجة من القوة تمكنها من تهديد استقلال دولة أو دول أخرى، وبالتالي يؤدي إلى ضمان الاستقرار في العلاقات السياسية الدولية ونشر السلام بين الدول، وقد أصبح مفهوم التوازن الدولي بهذا المعنى يمثل الخطة الأساسية التي ظلت تسير بمقتضاها العلاقات السياسية الدولية حتى الحرب العالمية الأولى عندما حل محلها مفهوم الأمن الجماعي كأساس للمحافظة على أمن العالم واستقراره وسلامه.

وبذلك وضعت معاهدة وستفاليا نهاية للعصر الذي أطلق عليه في التاريخ عصر الإصلاح الديني، فقد أصبح الوضع الديني واضحا، فقد قضي على أمل المصلحين الأوائل في تحطيم الكاثوليكية الرومانية التي تتبع روما، وكذلك فشلت حركة الثورة الإصلاحية المضادة في إعادة الولاء المطلق للبابا وكنيسة روما، ومن ثم كان لا بد من بقاء المذهبين

الكاثوليكي والبروتستانتي وتعايشهما جنباً إلى جنب في أوروبا، وساد في أوروبا مبدأ التسامح الديني الذي فرضته الدول القومية على رعاياها.

وقد عنيت معاهدة وستفاليا بوضع حد للمفاهيم القديمة التي كانت تقضي بخضوع الدول لنظام رئيسي أعلى منها فيما يختص بالشؤون الزمنية وهو نظام الإمبراطور في الإمبراطورية الرومانية المقدسة وتبعيتها في الشؤون الروحية لسلطة الكنيسة الكاثوليكية، أهم ما جاءت به معاهدة وستفاليا من مقررات تتعلق بتنظيم العلاقات الدولية ما يلي:

- تعد فاتحة لما سمي فيما بعد دبلوماسية المؤتمرات التي اتخذت صورة مقابلات بين الملوك والأمراء لتبادل وجهات النظر، فصح وستفاليا كان نتيجة لأول اجتماع عقد بين الملوك والأمراء في هيئة مؤتمر.

- أقرت مبدأ المساواة بين الدول دون النظر إلى نظمها الداخلية ونظمها الدينية فكانت هذه المعاهدة بمثابة الخطوة الأولى نحو تثبيت علمانية العلاقات السياسية الدولية ووضعت حداً للعلاقات على أسس دينية بين الدول، إذ اعترف الإمبراطور والبابا بحرية الاعتقاد للدول والأفراد.

- أقرت نظام إحلال البعثات الدبلوماسية الدائمة محل البعثات الدبلوماسية المؤقتة وهذا القرار أدى فيما بعد إلى إقرار القواعد الدبلوماسية المتمثلة في الحصانة والامتيازات الخاصة برجال السلك الدبلوماسي والتي لم تكن معروفة من قبل.

- أقرت فكرة توازن القوى بين دول أوروبا باعتبارها وسيلة لضمان السلام من خلال ردع الدولة التي تسعى إلى التوسع على حساب دول أخرى، والحيلولة دون هذا التوسع لكي لا يختل توازن القوى بين الدول.

- لم يرق النظام الدولي الذي تأسس على قواعد معاهدة وستفاليا على أساس العودة إلى الدول العالمية، بل جعل العلاقات الدولية محصورة في تلك العلاقات التي تنشأ بين الدول القومية ذات السيادة، والدول القومية وحدها هي التي تشكل العناصر الفعالة الدولية

وقد استقر الحال في أوروبا على هذا الوضع الذي أرسته معاهدة وستفاليا إلى أن حاولت فرنسا توسيع ممتلكاتها على حساب الدول المجاورة لها، دون مراعاة لمبدأ التوازن الذي أقرته هي نفسها في مؤتمر وستفاليا، ولذلك تحالفت الدول ضد فرنسا واشتبكت معها في حرب طويلة انتهت بتوقيع **معاهدة أوترخت عام ١٧١٣**، والتي أعيد بمقتضاها تنظيم أوروبا على أساس فكرة توازن القوى. وكانت معاهدة أوترخت بداية عهد جديد، فقد انتهت سلسلة من الحروب التي حاولت بها فرنسا السيطرة على أوروبا وزال ذلك الخطر إلى زمن طويل، ولم تجن منها فرنسا إلا تعيين فيليب الخامس حفيد لويس ملكا على أسبانيا وتخلي الفرنسيون عن مساعيهم في غزو بلجيكا، وخرجت بريطانيا من الأزمة دولة عظمى وأصبحت بعد الاستيلاء على قاعدة جبل طارق أعظم قوة في البحر لأبيض المتوسط.

واتسم القرن الثامن عشر بعدة ميزات منها:

الأولى: ظهور نوع جديد من الملكيات عرفت بالملكيات المستبدية المستتيرة، نظرا لتشبع ملوكها بالاستنارة على الرغم من استبدادهم، وتمثلت استنارتهم في رعاية مصالح شعوبهم ونهضة بلادهم، ومن أمثلة ذلك فردريك العظيم ملك بروسيا وبطرس الأكبر قيصر روسيا، إضافة إلى ملوك إنجلترا وفرنسا وأسبانيا.

الثانية: اشتعال الحروب القارية ممثلة في حروب الوراثة الأسبانية (١٧٠٠ - ١٧١٣)^(١٦) وحروب الوراثة النمساوية (١٧٤٠ -

(١٦) مع نهاية القرن السابع عشر أصبحت مسألة الوراثة الأسبانية في مقدمة المشاكل التي تشغل بال ساسة أوروبا، فشارل الثاني وهو ينتمي إلى الفرع الإسباني من أسرة الهابسبورج ملك أسبانيا كان مريضا مختل العقل، ولم ينجب وريثا لأملكه المترامية في أوروبا وغيرها، وينحصر المطالبون بعرش أسبانيا في لويس الرابع عشر ملك فرنسا وفرع عائلة الهابسبورج في النمسا وأمير بافاريا، لم يطل المقام بشارل الثاني فتوفي في نوفمبر سنة ١٧٠٠م بعد أن أوصي بأن يخلفه في عرش الإمبراطورية الأسبانية حفيد لويس الرابع عشر، مما شجع الأخير علي إلغاء اتفاقه مع إنجلترا وهولندا، معترفاً بحفيده ملكاً علي أسبانيا باسم فيليب الخامس، الذي أعلن ملكاً في بروكسل وفي ميلان ونابولي أيضاً. واعترفت إنجلترا وفرنسا به وكان من الممكن أن يقف الأمر عند هذا الحد ويستقيم الأمر لفيليب الخامس في أسبانيا لولا أن لويس الرابع عشر أعلن حق فيليب في وراثة عرش فرنسا من بعده الأمر الذي يهدد مصالح إنجلترا وهولندا، ويمثل تهديداً للدول الأوروبية، واتفقت إنجلترا وهولندا علي فصل فرنسا عن أسبانيا وإعطاء الممتلكات الأسبانية في الأرض المنخفضة وإيطاليا لفرع أسرة الهابسبورج النمساوي. اشتعلت الحروب في أوروبا بسبب الخلاف علي مصير ممتلكات أسبانيا، وعرفت بحروب الوراثة الأسبانية Spanish succession واستمرت حتى عام ١٧١٣ واتسع ميدان هذه الحرب لتشمل كل الممتلكات الأسبانية. وكان لبريطانيا ما أرادت.

(١٧) (١٧٤٨)، والتي أثرت تأثيرا كبيرا في توازن القوى داخل القارة. كما اشتدت المنافسة الاستعمارية بين القوى الأوروبية لاسيما إنجلترا وفرنسا وأسبانيا، ودخلت هذه المنافسة في لعبة توازن القوى، وشهدت تغيرات كبرى أثرت في تشكيل القارة الأوروبية، فتمكنت إنجلترا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر من التغلب على منافستها في حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣) وتمكنت بمقتضى **معاهدة باريس ١٧٦٣** من طرد فرنسا من كندا وحلت محلها، كما حصلت على بعض مستعمرات أسبانيا في الكاريبي. (١٨)

الثالثة: ظهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر آراء حرة مستتيرة نادى بها مجموعة من المفكرين والشعراء في إنجلترا وفرنسا والولايات الألمانية منهم جوته، شيلر، هيردو وفيلاند، ومنهم رواد الثورة الفرنسية فولتير، مونتسكيو، وجان جاك روسو، حيث انتقد فولتير الأفكار السائدة عن الدين والسياسة والمجتمع نقداً لاذعاً وتميزت أفكاره بالمثالية بل أكثر من المثالية حينما طالب الحكومات بأن تكون خدمة الفرد ورفاهيته هي أحد أهدافها، وجعل رفاهية الرعايا أهم من مصالح العائلة المالكة أو امتيازات الطبقات العليا.

الرابعة: قدمت إنجلترا بنهاية هذا القرن لأوروبا تجربتان رائدتان في السياسة والاقتصاد، ففي السياسة انتقلت السلطة من الملك إلى

(١٧) حرب نشبت بعد وفاة تشارلز السادس، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ووصول ابنته ماريا تيريزا العرش من بعده، وذلك بسبب من ادعاء عدد من الملوك والأمراء الحق في خلافة آل هابسبورغ. بدأت بغزو فريدريك الثاني، ملك بروسيا، سيليزيا Silesia (عام ١٧٤٠). ومن ثم تحالفت فرنسا مع بافاريا وإسبانيا، وبعد ذلك بروسيا، على النمسا. فما كان من بريطانيا التي خشيت على إمبراطوريتها من تعاطف النفوذ الفرنسي إلا أن هُرعت لنجدة ماريا تيريزا. انتهت بمعاهدة أكس لا شابيل Aix-la-Chapelle (١٨ أكتوبر ١٧٤٨) وبموجبها اعترف بحق ماريا تيريزا بورثة عرش آل هابسبورغ واحتفظت بروسيا بسيليزيا وكانت قد احتلتها خلال الحرب.

(١٨) هي المعاهدة التي أعقبت حرب السنوات السبع بين إنجلترا وفرنسا ١٧٥٦-١٧٦٣ وبمقتضاها استولت إنجلترا على كندا من فرنسا واحتفظت إنجلترا بالسنغال في أفريقيا وجرينادا وسان فنسين والدومينيك وتوباغو في جزر الهند الغربية ومينورقه في البحر المتوسط وتحفظت فرنسا ببيل إيسل وجوري في أفريقيا وجواد لوب ومارتينيك وسانت لوتشيا في جزر الهند الغربية. وفقدت أسبانيا فلوريدا لصالح إنجلترا، وإن استردت أسبانيا هافانا كتعويض لها.

مجلس وزراء لأول مرة في تاريخ أوروبا، وفي مجال الاقتصاد بدأ ثورة صناعية في إنجلترا، ما لبثت أن انتقلت إلى مناطق أخرى من أوروبا، بما ترتب عليها من آثار اقتصادية واجتماعية وسياسية.

وإذا ألقينا نظرة على أهم أحداث القرن الثامن عشر سنجد أن معاهدة أوتراخت^(١٩) التي أعقبت حروب الوراثة الأسبانية أسفرت عن الاعتراف بملكية فيليب الخامس علي أسبانيا علي أن تفصل أسبانيا عن فرنسا فصلاً تاماً، وتم تسوية النزاع الانجلو فرنسي في العالم الجديد فتسلم فرنسا لانجلترا جزر نيوفونلاند ونوفاسكوشيا ومنطقة خليج هدسن، وتحتفظ فرنسا بكويبك وتسلم أسبانيا جبل طارق ومنيورقه لإنجلترا أما الأراضي المنخفضة فتسلم لهولندا، تمهيداً لتسليمها إلى النمسا. كما تم الاعتراف بمملكة روسيا مع توسيع حدودها. وألت جزيرة صقلية إلى دوق سافوي الذي أصبح ملكاً بعد ذلك، أما جزيرة سردينيا وبعض ممتلكات أسبانيا في إيطاليا فقد آلت إلى الإمبراطور النمساوي.

هكذا خرجت إنجلترا من صلح أوتراخت بنصيب الأسد سواء من أملاك فرنسا في العالم الجديد أو من ممتلكات أسبانيا في أوروبا، وأهمها صخرة جبل طارق، كما عقدت مع أسبانيا اتفاقية في عام ١٧١٥م حصلت بمقتضاها علي العديد من الامتيازات التجارية، وأهمها حق تصدير الرقيق الأفريقي إلى ممتلكات التاج الأسباني في الأمريكتين أما فرنسا فقد خرجت من حروب الوراثة الأسبانية منهكة القوة، وفقدت العديد من مستعمراتها، كما فشلت في توحيد أسبانيا معها وتكوين ملكية ديكتاتورية تسيطر علي أوروبا ويكاد يكون الصراع بين عائلتي البربون والهابسبورج قد انتهى. وظهرت بروسيا علي الخريطة الأوروبية أما أسبانيا فقد خسرت الكثير من ممتلكاتها.

(١٩) في عام ١٧١٢ افتتح مؤتمر دولي في أوتراخت Utrecht لوضع حد لحروب الوراثة الأسبانية التي اشتعلت منذ عام ١٧٠٠ وفي المؤتمر تعارضت مصالح الدول المتحالفة ضد فرنسا لكن المؤتمر أسفر عن عقد معاهدة صلح منفصل في عام ١٧١٣م عرفت باسم صلح أوتراخت حيث تم الاتفاق علي الاعتراف بملكية فيليب الخامس علي أسبانيا علي أن تفصل أسبانيا عن فرنسا فصلاً تاماً وتم تسوية النزاع الانجلو فرنسي في العالم الجديد فتسلم فرنسا لانجلترا جزر نيوفونلاند ونوفاسكوشيا ومنطقة خليج هدسن، وتحتفظ فرنسا بكويبك وتسلم أسبانيا جبل طارق ومنيورقه لإنجلترا أما الأراضي المنخفضة فتسلم لهولندا، تمهيداً لتسليمها إلى النمسا.

وفي عام ١٧١٧م عقد تحالف ثلاثي بين إنجلترا وفرنسا وهولندا للحفاظ علي حالة السلم في أوربا عقب صلح أوترخت، وعندما حاولت أسبانيا استرداد بعض ممتلكاتها في إيطاليا من الإمبراطور النمساوي لاذ الإمبراطور بالحلف الثلاثي فأصبح حلفاً رابعياً في عام ١٧١٨م ولما حاولت أسبانيا التحالف مع روسيا والسويد لتهديد عرش إنجلترا، عازمت دول الحلف علي توجيه ضربة لها ولم يوقف زحف الجيوش الفرنسية نحو أسبانيا سوي إعلان ملكها فيليب الخامس عزل مستشاره البيروني، وانضمامه للحلف الرباعي ليكون خماسياً ولم يطرأ علي شروط أوترخت أية تعديلات إلا الاستجابة لرغبة الإمبراطور في الحصول على صقلية بدلا من سردينيا التي آلت إلى ملك سافوي في عام ١٧٢٠م.

وأسفرت **حروب الوراثة النمساوية (١٧٤٠ - ١٧٤٨)** عن ارتفاع نجم بروسيا فغدت في عداد الدول العظمى، وتعهدت الدول الموقعة على إكس لاشابيل بحق بروسيا في سيليزيا، واستعادت النمسا سلطانها على الأراضي المنخفضة مقابل كيب بریتون التي تنازلت عنها لفرنسا، التي أضعفتها الحرب فلم تحصل على أكثر من كيب بریتون. أما إنجلترا فقد خرجت من حروب الوراثة النمساوية دولة عظمى، ولم يستطع اتحاد فرنسا وأسبانيا خلال الحرب أن يتفوق على إنجلترا، التي اطمأنت إلى اعتراف أوربا بأسرة هانوفر في إنجلترا.

وساد أوربا عقب صلح باريس ١٧٦٣م فترة من الهدوء النسبي، بسبب الخسائر التي سببتها حرب السنوات السبع للدول الأوربية، وتخلت بريطانيا عن دورها الريادي في القارة، وانحصر نشاطها في المسائل الداخلية، وانهمكت في القضاء علي حركة التحرير التي استشرت في مستعمراتها الأمريكية، والتي انتهت بانسلاخ الولايات الأمريكية على الساحل الشرقي عن بريطانيا، وانقسمت أوربا إلى قسمين، القسم الجنوبي تتزعمه فرنسا وأسبانيا وتحكمه أسرة البربون، وقد انشغل في الحركة الفكرية الجديدة، أما الملكيات المستنيرة في الشمال ممثلة في روسيا والنمسا وبروسيا فقد انشغلت في مشكلة وراثة العرش البولندي.

وفي الربع الأخير من القرن الثامن عشر ارتفع نجم روسيا وأخذت بالنظم الأوربية، ونجحت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ بعد تعثر في إرساء

قواعد نظام حكم جديد هو النظام الجمهوري ليكون نبراسا للشعوب المتطلعة للديمقراطية ومشاركة الشعوب في الحكم بشكل أو بآخر، وبالفعل انتقلت التجربة إلى الوليد الجديد في أمريكا الشمالية المنسلخ عن إنجلترا ألا وهو الولايات المتحدة الأمريكية. لكن بونابرت الذي خرج من فرنسا أذاق أوربا ويلات الحروب مرة أخرى طوال الخمسة عشر عاما الأولى من القرن التاسع عشر، وتعتبر الدول الأوربية أن مبادئ الثورة الفرنسية جاءت إعلانا واضحا وصريحا تمثل في تهديد النظم السياسية للبلاد المجاورة لها، لقد هزت حروب الثورة الفرنسية وحروب نابليون دعائم المجتمع الأوروبي هزا عنيفا وأحداث فيه تحولات واسعة النطاق وجبت تسويتها ولذلك اتحد جميع الملوك والأمراء بوجه هذه الثورة ومبادئها، وبعد جميع هذه الأحداث اجتمعت الدول في مؤتمر جديد عام ١٨١٥ في فيينا لإعادة تنظيم العلاقات السياسية فيما بينها، إن أهم ما أسفر عنه مؤتمر فيينا:

- تحقيق توازن نسبي في القوى بين الدول الأوروبية الكبرى.
- قمع التيارات الفكرية التي نشرتها الثورة الفرنسية.
- إقرار مبدأ المشروعية فأقر المؤتمر حق عودة الملوك إلى عروشهم.
- إقرار مبدأ الحياد الدائم وقد وضعت سويسرا بمقتضى هذا المبدأ في حالة حياد دائم.
- إقرار مبدأ حرية الملاحة في الأنهار الدولية.
- تنظيم العلاقات الدبلوماسية بين الدول ووضع قواعد لترتيب الممثلين الدبلوماسيين.
- تحريم تجارة الرقيق.

إن مؤتمر فيينا يعد مرحلة جديدة في تطور العلاقات السياسية الدولية، حيث سجل تطورا نوعيا في قراراته ركزت على إقرار توازن دولي جديد يأخذ على عاتقه مهمة الاستقرار في أوروبا، كان مهندس هذا المؤتمر المستشار النمساوي مترنيخ الذي كان يخشى أن يمتد لهيب الثورات القومية إلى بلاده نظرا لأنها تشتمل على أجناس متباينة وقوميات مختلفة ومن ثم كانت هي الأكثر تعرضا للانتفاضات القومية. وتدعيما لقرارات المؤتمر اتفقت الدول المتحالفة وهي روسيا، بروسيا، النمسا، بريطانيا، على إقامة نوع جديد لتنظيم العلاقات الدولية وهو

إنشاء الحلف المقدس للمحافظة على سلام أوروبا وسلام العالم كله وإقرار التدخل العسكري لتحقيق هذا الهدف إذا لزم الأمر، وإذا كان الحلف المقدس قد نجح في تحقيق أهدافه، فإن هذا النجاح لم يكتب له البقاء أكثر من الثورات القومية وخاصة في ألمانيا والنمسا حيث أخذت الولايات فيهما تتعرض للتفكك والانحلال بفضل القوميات والأجناس المتعددة كالصقالبة والمغول وغيرهم، ولم تصمد الأنظمة الرجعية أمام حركة القوميات الجديدة التي شملت كل من هولندا، بلجيكا، فرنسا، النمسا، إيطاليا، وألمانيا، وبدأ تفكك الإمبراطورية العثمانية.

جاءت قرارات المؤتمر لصالح الدول الكبرى لاسيما الأقوى منها، وكان حضور الدول الصغرى من قبيل استكمال الشكل فقط، فلم تستطع أن تفرض رغباتها وأنى لها ذلك؟ حاول المجتمعون في المؤتمر الحفاظ على توازن القوى على حساب الدول الصغرى فالنمسا استفادت من مبدأ توازن القوى فاستردت ما أخذ منها على حساب إيطاليا، واستفادت روسيا من المبدأ مقارنة بدول وسط أوروبا وغربها على حساب فنلندا كاملة والجزء الأكبر من بولندا، وفي إطار المبدأ ذاته انتزعت السويد النرويج من مملكة الدانمرك ثمنا لمساهمتها في إسقاط نابليون، وتعاقل المؤتمر في ذلك روابط الثقافة والجنس. ووزعت بولندا بين ثلاث دول هي روسيا وبروسيا والنمسا، بينما ضمت البندقية إلى النمسا، وضمت جنوة إلى مملكة بيدمونت.

وظن المؤتمرون في فيينا أنهم قضوا على مبادئ الثورة الفرنسية وحماها الشعوب المحيطة بفرنسا، أو بالأحرى ملوك تلك الدول من تلك المبادئ بالسياس الحديدي الذي فرض على فرنسا بتقوية الدول المحيطة بها مثل بروسيا والروسيا والنمسا وبلجيكا ناهيك عن بريطانيا، لكن المبادئ الفكرية من حرية ومساواة وديمقراطية قادرة على تحطيم مثل هذه القيود، فقد هبت رياح الثورة الفرنسية على بلجيكا في عام ١٨٣٠، ثم هبت على اتحاد الراين (ألمانيا فيما بعد ١٨٧١) وشمال إيطاليا، بل إنها عبرت الأطلنطي من قبل إلى الولايات الثلاثة عشر التي حصلت على استقلالها من قبضة بريطانيا العظمى واعتنقت النظام الجمهوري.

وفي أعقاب مؤتمر فيينا ١٨١٥ تواصل حلفاء الأمس بشكل جيد وطففت على السطح فكرة إنشاء اتحاد بين الدول الكبرى بهدف خلق

ضمير سياسي أوروبي لمواجهة المبادئ الثورية والأفكار التحررية المضرة - من وجهة نظرهم على السلام في القارة الأوروبية، فتشكل بناء على رغبة القوى الأوروبية الكبرى في شرق أوروبا ووسطها ما سمي بـ "الحلف المقدس Holly Alliance" وهو فكرة قيصر روسيا "اسكندر الأول" وهي فكرة دينية في أساسها تجعل للملوك ولاية تشبه ولاية آباء الكنيسة على شعوبهم تهدف للقضاء على فكرة الشر متمثلة في الأفكار البونابرتية، وكانت الفكرة قد بدأت في عام ١٨٠٤ عندما مد يده لبريطانيا من أجل القضاء على نابليون، لذا لم تر بريطانيا فائدة من هذا الحلف بعد القضاء على نابليون فلم تنضم إليه، ووصفه كسلري وزير خارجية بريطانيا بأنه مظهر زائف يكسوه لباس ديني براق، بينما انضمت إليه النمسا وبروسيا.

أما بريطانيا التي رفضت الانضمام إلى الحلف المقدس في ٢٦ سبتمبر ١٨١٥، ارتضت أن تنضم لحلف رباعي في ٢٠ نوفمبر من العام ذاته أي بعد أقل من شهرين مع دول الحلف المقدس (روسيا وبروسيا والنمسا) إنما على مبادئ منها أن التحالف سياسي يهدف إلى توطيد العلاقات بين الدول الأربع وتوحيد كلمتها بهدف نشر السلام، بآلية متمثلة في اجتماع دوري للملوك أو الوزراء، استمر الحلف قائماً حتى سنة ١٩٢٣، عقدت خلال هذه الفترة العديد من المؤتمرات لبحث مشاكل القارة الأوروبية، كان أهمها مؤتمر إكس لا شابيل Aix la Chapelle ١٨١٨ وفيه تم بحث المسألة الفرنسية في حضور دوق ريشيليو وزير الخارجية، واتخذ المؤتمر قراراً بجلاء جيش الحلفاء الذي سيطر على الأراضي الفرنسية سنة ١٨١٥، وقبلت فرنسا عضواً في الحلف الرباعي. وعرضت مسألة تجارة الرقيق ووافق المؤتمر على إلغاء هذه التجارة وتحريمها، ومنها مؤتمر فرانكفورت ٢٠ يوليو ١٨١٩ الذي سوى خلافاً للولايات الألمانية من تسويات حدود وتحديد سلطة الأمراء.

اشتعلت الثورة في أسبانيا ١٨٢٠ فرأى قيصر روسيا سرعة تدخل الجيوش الأوروبية لإخماد هذه الثورات لكن ساسة فرنسا والنمسا وبريطانيا رفضوا على اعتبار أن التدخل العسكري سيثير شعوبهم ضدهم، كما رفضوا مجرد السماح لجيوش القيصر بعبور أراضيهم.

ومالبت أن اشتعلت ثورة أخرى في نابولي على غرار الثورة الأسبانية ضد النفوذ النمساوي واتخذت إجراءات استقلالية فاخترت لنفسها الدستور الأسباني ١٨١٢، ورأى مترنيخ ضرورة التدخل لمنع هذه الثورة، باعتبار أن الموقف في نابولي يختلف عن الموقف في أسبانيا، لأنه يهدد الإمبراطورية النمساوية، وأيده في ذلك ملك بريطانيا. لكن قيصر روسيا عارض هذا التدخل وطلب عقد مؤتمر دولي على غرار إكس لا شابيل ١٨١٨ لنظر أمر الثورات كلها وأيده في ذلك ساسة فرنسا لرغبتهم في إرجاع الأوضاع في نابولي إلى ما كانت عليه قبل ١٨١٤.

خشي مترنيخ من عقد المؤتمر في فرنسا فاقترح عقده في تروباو بإقليم سيليزيا في ألمانيا، وبالفعل عقد **مؤتمر تروباو ٢٣ أكتوبر ١٨٢٠** وعرض مترنيخ مبدأ حق تدخل دول الحلف الأوربي إذا تم تغيير نظام الحكم في واحدة من دول الحلف الأوربي عن طريق ثورة شعبية تهدد استقرار باقي دول الحلف كما هو الحال في نابولي، وعدم التدخل إذا كانت الثورة من السلطة الحاكمة، وفي الحالة الأولى يحق لدول الحلف أن تتدخل ولو بالقوة المسلحة لإعادة الأمور إلى نصابها، وفي الحالة الثانية تقدم الدولة ضمانات تكفل الحرص على الهدوء والاستقرار بها، وقد توافق على هذه السياسة كل من روسيا وبروسيا والنمسا بعد أن تغير موقف قيصر روسيا. ولم تتوقف فرنسا وبريطانيا على هذا المبدأ، فاكتفى مترنيخ ببروتوكول مع كل من روسيا وبروسيا. وهو بروتوكول رجعي يعد انتكاسة في مسيرة حرية الشعوب في حكم نفسها.

دعا ملك نابولي **لمؤتمر ليباخ Laibach ١٢ يناير ١٨٢١** وقبلت بريطانيا وفرنسا الدعوة، وحاولت دول ليباخ الثلاث التمسك بمبادئهم، وأرسلت النمسا قواتها لوقف الثورة في نابولي وبيدمنت، وانشق صف الدول الأوربية، وكاد الحلف الأوربي أن ينتهي لولا ظهور قضية استقلال اليونان ومحاولة الدولة العثمانية قمعها ١٨٢١، تلك الأزمة التي جمعت الدول الأوربية مرة أخرى على عدو خارجي هو الدولة العثمانية. ومع تطور المسألة الشرقية والخوف من تدخل روسيا وتحقيق مكاسب على حساب الدولة العثمانية، وظهر اضطرابات في أسبانيا دعت فرنسا للتدخل ليستتب الأمر للملك البريوني، وعامل ثالث تمثل

في موت كاسليري وزير خارجية فرنسا وتعيين جورج كاننج الذي سلك مسلكا مخالفا له مع دول الحلف، كل ذلك أدى إلى عقد **مؤتمر فيرونا** في **٣٠ أكتوبر ١٨٢٢** وعرضت المسألة الشرقية ومشكلات أسبانيا الداخلية ومستعمراتها في أمريكا اللاتينية وبعض مشاكل إيطاليا. ولم ينجح المؤتمر إلا في حل مشكلة أسبانيا الداخلية وفقا لرغبة فرنسا فأطلق يدها في حل المسألة عسكريا، فأرسلت جيوشها في عام ١٨٢٣ فأوقفت الدستور وأعدت الملك البريوني إلى عرشه، بينما رفض المؤتمر فكرة قيصر روسيا بإرسال جيوش روسية عبر الأاضي الفرنسية إذ اعتبروه إهانة لفرنسا، ووقفت الدول الرجعية لبريطانيا التي رأت حرية الأسبان في تقرير مصيرهم.

وبعودة الملك البريوني إلى عرش أسبانيا دعت الدول الرجعية لعقد مؤتمر يناير ١٨٢٤ لنظر مشكلة المستعمرات الأسبانية لكن رفض بريطانيا الحضور أفضل المؤتمر، ثم دعت روسيا لعقد **مؤتمر بطرسبرج** ١٨٢٥ لنظر المسألة الشرقية، ورفضت بريطانيا حضور المؤتمر للمرة الثانية، فاجتمعت روسيا وروسيا وفرنسا والنمسا واستمر المؤتمر خمسة أشهر دون التوصل إلى نتيجة بسبب الخلاف بينهم. وبذلك انتهى عهد المؤتمرات بالفشل، كما فشلت المحاولات الأوربية لإيجاد حلف أوربي دائم بسبب اختلاف المصالح بين دول الحلف لاسيما بريطانيا، كما كانت يقظة شعوب أوربا وراء فشل سياسة المؤتمرات.

أما بالنسبة لمصير المستعمرات الإسبانية فقد استقلت بيرو وكولمبيا والمكسيك وأيدت بريطانيا استقلالهم لمصالح اقتصادية تجارية، وحمى ثورتهم **مبدأ منرو** Monroe Dectorien الصادر في الولايات المتحدة الأمريكية في ٢ ديسمبر ١٨٢٣ لاعتبار الأمريكتين للأمريكان وليس لدول أوربا الحق في التدخل في أمور الأمريكتين.

وشهد منتصف عام ١٨٣٠ ثورة في فرنسا نجحت في إزاحة فرع الأسرة الحاكمة الأكبر (البريون) وملوكهم المستبدين وجاءت بالفرع الأصغر (أورليان) والعجيب أن معظم الثوريين كانوا من الجمهوريين لكنهم فضلوا النظام الملكي الديمقراطي على النظام الجمهوري لخوفهم من تدخل الدول الكبرى وإفساد الثورة كما حدث في ثورتهم الأولى ١٧٨٩م. فجاءت ثورة ١٨٣٠ تصحيحا لمسار الثورة الأولى بتحقيق

الحرية الدستورية والمساواة الاجتماعية، وانتزع الشعب حقوقه ولم يعد الدستور والحريات منحة من الحاكم وإنما حقاً مكتسباً بثورة، وسرعان ما انتقلت الثورة في أكتوبر ١٨٣٠ إلى بلجيكا لتتحرر من السيادة الفرنسية وتلحق بهولندا التي تحررت عام ١٨١٣م، لكن فرنسا لم تسلم باستقلالها إلا في عام ١٨٣٩، ثم تحولت فرنسا إلى النظام الجمهوري في ١٠ ديسمبر ١٨٤٨ برئاسة لويس بوناپرت أيضا الذي مكن لنفسه إمبراطورا في ٢ ديسمبر ١٨٥١م.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بات الصدام المسلح بين الدول الكبرى أمراً حتمياً، بسبب زيادة حدة الصراع والتنافس بين هذه الدول وارتباط هذه الدول بنمو الروح العسكرية والاحتفاظ بجيوش كبيرة هائلة على أهبة الاستعداد لخوض الحرب من أجل فرض السيطرة على الدول الأخرى، وكذلك اتساع نطاق نظام الأحلاف السرية التي سادت العلاقات الدولية. وأبرز هذا الحراك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الوحدتين الإيطالية والألمانية، فقاد بسمارك مسيرة الوحدة في ألمانيا، وقاد كافور الوحدة في إيطاليا، واستكملت فرنسا ثورتها في ١٨٧٠ بالجمهورية الثالثة وأطاحت بنابليون الثالث والإمبراطورية الثالثة وودعت النظم الدكتاتورية إلى غير رجعة.

وشهد منتصف القرن التاسع عشر تنافساً دولياً متوازناً في الشرق الأقصى، بدأتها بريطانيا مع الصين في حرب (٤٠ - ١٨٤٣م) لإرغامها على فتح بعض موانئها ولاسيما شنغهاي أمام التجارة الدولية التي كان معظمها من الأفيون، واستغلت فرنسا الفرصة فحصلت لبعثتها التبشيرية على حق حماية مصالح المواطنين المسيحيين سنة ١٨٤٤م، وعندما حاولت الصين المقاومة تعاونت بريطانيا وفرنسا في ضربها عامي ٥٨/ ١٨٦٠م حتى فتحت الصين أبوابها على مصراعيها أمام التجارة الدولية، بما فيها تجارة الأفيون. ومن ناحية أخرى زحف الدب الروسي في محاولة للوصول إلى المياه الدفيئة، فاستولى على بعض أراضي كوريا والصين ومنها ميناء فلاديفيستك. وعندما حدث اعتداء في جنوب الصين على البعثات التنصيرية الفرنسية أرسل نابليون الثالث حملة استولت على ما يعرف بالصين الهندية وجزء من كمبوديا في الفترة

من ١٨٦٢ - ١٨٨٥م، في محاولة لإيجاد توازن مع ممتلكات بريطانيا في هونج كونج والفلبين ونيوزيلندا وأستراليا.

تعددت دوافع روسيا للتوسع في آسيا، فقد كان توسعها في سيبيريا للتخلص من العمالة الزائدة والمجرمين السياسيين المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة، أما في الصين فكان الهدف متمثلاً في البحث عن ثغر على المحيط الهادئ لا يتجمد ماؤه، ولكن مع تأجج مسألة الشرق الأقصى وسياسة الباب المفتوح في الصين توقف الزحف الروسي سنة ١٨٦٠م عند ميناء فلاديفيستك الذي لا يتجمد ماؤه إلا في بعض شهور الشتاء، فحولت روسيا نشاطها إلى التركستان والدويلات الإسلامية الواقعة شمال وشمال غرب إيران وأفغانستان، فاستولت على طشقند سنة ١٨٦٤م، وسمرقند ثم كل من التركستان الشرقية والغربية سنة ١٨٧٣م، وحالت الصحراء القاحلة وجبال أفغانستان دون وقوع صدام بين بريطانيا وروسيا، وكانت بريطانيا قد تصدت لروسيا عندما اعتدت على أفغانستان سنة ١٨٨٥م فتحولت إلى منشوريا في الصين لتقع في صدام مباشر مع اليابان، وانتهى الأمر بهزيمة قاسية للدب الروسي على يد اليابان الفتية التي لم يتجاوز تاريخها الحديث نصف قرن.

الفصل الثالث

العلاقات الدولية في النصف الأول من القرن العشرين

العلاقات الدولية في مطلع القرن العشرين

شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر تنافساً أوروبياً حول استعمار أفريقيا، إلى درجة أن الجزء المستعمر من أفريقيا قبل مؤتمر برلين ١٨٧٨م لم يتجاوز ١٠% من مساحة القارة السوداء، وبنهاية القرن التاسع عشر لم يتبق من القارة السوداء مستقلاً سوى ١٠% فقط من مساحتها، أي أن حوالي ٨٠% من مساحة القارة المذكورة تم احتلاله خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ ففي سنة ١٨٨١ انقضت فرنسا على تونس، تبارك خطواتها كل من بريطانيا وألمانيا، في حين استشاطت إيطاليا غضباً، وفي العام التالي التهمت بريطانيا مصر، واعتبرت فرنسا أنها تعرضت لخديعة كبرى من جانب بريطانيا، ففرنسا صاحبة امتياز حفر قناة السويس، وشريكة بريطانيا في المراقبة الثنائية، لكن بريطانيا اشترت نصيب مصر في أسهم القناة بالاتفاق مع الخديو إسماعيل دون علم فرنسا، كما استشاط الوطنيون في مصر غضباً بسبب تلاشي شخصية الخديو أم بريطانيا، واستغلت بريطانيا أحداث الشغب في الإسكندرية ضد الخديوي وتدخلت بقواتها المسلحة لقمع ما اعتبرته ثورة ضد الخديوي واحتلت مصر في يونيو ١٨٨٢، ووعدت بريطانيا بالجلء عن مصر بعد استتباب الأمن بها، لكنها كانت مجرد تهدئة لغضب كل من الدولة العثمانية وفرنسا وروسيا. وتبنت فرنسا المقاومة في مصر، وبلغت العداوة مداها في نهاية القرن التاسع عشر عندما تقدمت الجيوش الفرنسية من السنغال على السودان الغربي لتطويق الوجود الإنجليزي وإعاقته، حتى التقت القوتان عند فاشودا غربي السودان ١٨٩٩م، وكاد يقع صدام مسلح بينهما لولا مبدأ التعويض الأرضي التي أقرته الدول الأوربية في مؤتمر برلين الثاني، فظهر نوع من التقارب بين الدولتان اكتملت حلقاته في سنة ١٩٠٤م، وأسفرت هذه السياسة عن إطلاق يد فرنسا وأسبانيا في المغرب الأقصى.

وكانت ألمانيا عازفة عن الاستعمار جاء تأييدها لبريطانيا في مصر طمعاً في تأييد بريطانيا لها في الحصول على بعض المستعمرات في أفريقيا لتأمين تجارتها، ففي يوليو من عام ١٨٨٢م أعلنت ألمانيا ضم ساحل الكاميرون وتوجو، وبعد نزاع مع بريطانيا تم تقسيم غينيا

الجديدة إلى جزأين؛ شمالي لألمانيا وجنوبي لبريطانيا، وفي سنتي ١٨٨٥/٨٤ ضمت ألمانيا أفريقيا الشرقية (تتجانيفا) وفي خلال عامين أصبح لألمانيا إمبراطورية كبيرة دون أسطول أو جيوش جرارة. وعلى نسق سياسة بسمارك ولكن بأسلوب آخر تمكن ليوبولد الثاني ملك بلجيكا من إيجاد مركز اقتصادي قوي لنفسه في الكونغو، بعد أن كلف المستكشف "ستانلي" بعقد معاهدات مع أهالي البلاد لإنشاء دولة الكونغو الجديدة (١٨٧٨ - ١٨٨٤م) وعلى الرغم من الطابع التجاري لهذه المعاهدات فقد أبدت فرنسا والبرتغال خشيتهما، الأمر الذي أدى إلى عقد مؤتمر برلين في الفترة من أكتوبر ١٨٨٤ إلى فبراير ١٨٨٥ الذي أقر المصالح البلجيكية في دولة الكونغو الحرة.

استمرت الإمبريالية في النصف الأول من القرن العشرين تحميها معاهدات التحالف والتكتلات، غير أن الأزمات التي أفرزتها الأحقاد المتبادلة بين الدول الإمبريالية أدت في النهاية إلى اشتعال حرب عالمية استمرت من ١٩١٤ - ١٩١٨ جرت إليها قوى عديدة لم تشارك في أصول الحرب، لكنها اشتركت بفضل سياسة التحالفات، واستمرت الإمبريالية بعد الحرب العالمية الأولى ممثلة في نظام الانتداب، الذي أقرته عصبة الأمم. وما لبث العالم أن انجرف إلى حرب عالمية ثانية في الفترة من ١٩٣٩ - ١٩٤٥م والتي قلبت موازين القوى في العالم تماماً، واستمرت الإمبريالية بشكل محدود ممثلاً في نظام الوصاية الذي أقرته الأمم المتحدة.

تعد الحرب العالمية الأولى البداية الحقيقية للعلاقات الدولية، ويتطلب البحث في الأصول التاريخية للحرب العالمية الأولى والتحالفات والتكتلات التي ألفت بظلالها على هذه الحرب تتبع المصالح الخاصة بالدول الكبرى، فقد أدى تصادم تلك المصالح إلى قيام أربعة أزمات عقب الاتفاق الودي ١٩٠٤م وبالتحديد في السنوات العشر التالية للاتفاق، تركزت الأزمات الأربع في ميدانين اثنين هما المغرب الأقصى ومنطقة البلقان، تميز كل منها عن الآخر بعدة ميزات، واقتسم الميدانان الأزمات الأربع بالتساوي فيما بينهما بواقع أزميتين لكل ميدان؛ فاشتعلت في المغرب الأقصى أزمتي الجزيرة الخضراء ١٩٠٥ / ١٩٠٦ وأزمة أغادير ١٩٠٩ / ١٠١٢، وفي ميدان البلقان أزمة البوسنة

والهرسك ١٩٠٨، وأزمة البوسنة الثانية ١٩١٤، كادت أن تكون أي من تلك الأزمات شرارة لحرب كبرى، وبالفعل كانت الأزمة الرابعة (أزمة مقتل الأرشيدوق النمساوي) هي شرارة الحرب العالمية الأولى.

وكانت ألمانيا قد بدأت في مرحلة متأخرة تتطلع إلى زيادة مستعمراتها في القارة الإفريقية وتحديداً بعد انتهاء سياسة بسمارك عام ١٨٩٠، وتدين ألمانيا بوحدتها وقوتها إلى مستشارها الفذ بسمارك الذي نجح في توحيد ألمانيا عام ١٨٧١م، ثم اتبع سياسة محافظة بتباعد ببلاده عن مشكلات أوروبا فساهم بسمارك في حفظ السلام في أوروبا طول فترة حكمه، فلم ير بسمارك ضرورة لتوسيع رقعة ألمانيا علي حساب أية دولة أخرى في أوروبا، ونجح بسياسته الهادئة في تكوين إمبراطورية محدودة لبلاده في القارة السمراء تحقق لها كيانها كدولة أوربية وتلبي بعض الاحتياجات من المناطق الحارة، ففي يوليو ١٨٨٢ أعلنت ألمانيا ضم ساحل الكاميرون وتوجو، وبعد نزاع مع بريطانيا تم تقسيم غينيا الجديدة إلى جزئين شمالي لألمانيا وجنوبي لبريطانيا. وفي عامي ١٨٨٥/٨٤م ضمت ألمانيا أفريقيا الشرقية (تتجانيا) وفي خلال عامين أصبح لألمانيا إمبراطورية معقولة دون أسطول أو جيوش جراره. تغيرت سياسة ألمانيا بعد فترة حكم بسمارك عام ١٨٩١م، فبدأت ألمانيا تتطلع إلى تحقيق سياسة خارجية أكثر نشاطاً، فلم تكف بم حصلت عليه من مكاسب دون جهد كبير في عصر بسمارك، غير أن هذه السياسة جاءت عقب تقسيم أفريقيا في مؤتمر برلين الثاني عام ١٨٨٥م، ومن ثم حاولت ألمانيا تحقيق سياستها بمناوئة الدول الاستعمارية ولاسيما بريطانيا وفرنسا. وجدت ألمانيا أن أهم مجالات تحقيق هذه السياسة هي المغرب ووسط أفريقيا، فأشار المستشار الألماني بيلوف علي الإمبراطور وليم الثاني أن ينزل في طنجة ويعلن معارضة بلاده لسياسة فرنسا في المغرب والوفاق البريطاني- الفرنسي في هذا الصدد - في محاولة لعرقلة جهود فرنسا في المغرب وتحقيق مصداقية ومكاسب لبلاده هناك، الأمر الذي تسبب في أزمة دولية، انتهت بتحويل المسألة إلى مؤتمر دولة لبحث مستقبل المغرب، عقد المؤتمر في مدينة الجزيرة، الخضراء في المغرب في ١٦ يناير ١٩٠٦م.

لم يحقق المؤتمر لألمانيا ما كانت تصبوا إليه، بل جاءت معظم قراراته لصالح فرنسا، حيث وقفت الدول المشاركة في المؤتمر في جانب فرنسا فيما عدا إمبراطورية النمسا والمجر، أما بريطانيا وإيطاليا وأسبانيا وروسيا فقد وقفوا جميعاً بجانب فرنسا، فبريطانيا خليفة فرنسا بمقتضى اتفاق ١٩٠٤ وكذلك إيطاليا أما أسبانيا ففضلت الوقوف بجانب جارتها وشريكها في المغرب، وحسمت روسيا موقفها لصالح فرنسا بعد فشل الإمبراطور الألماني في استماله القيصر الروسي رسمياً عام ١٩٠٥ حيث تصدت الوزارة الروسية لاتفاق بجركو الذي توصل إليه الإمبراطور والقيصر في يوليو ١٩٠٥ في مدينة بجركو حيث رفضت الوزارة الإطاحة باتفاق بلادها مع فرنسا.

لم يمه مؤتمر الجزيرة الخضراء يناير ١٩٠٦ اهتمام ألمانيا بالمغرب أو بالنشاط الفرنسي هناك، بل ظلت ألمانيا تتابع بقلق نجاح فرنسا في تحقيق أطماعها التوسعية في المغرب رويداً ورويداً بما أسمته سياسة التهذئة specification وعندما تدخلت فرنسا في المغرب عسكرياً مساندة مولاي عبد الحفيظ في صراعه علي السلطة مع أخيه عبد العزيز ودخلت القوات الفرنسية العاصمة المغربية، ثارت ألمانيا وأرسلت طراداً ألمانيا متظاهراً بالقوة أمام شواطئ أغادير، الأمر الذي أثار أزمة دولية وسرعان ما تدخلت بريطانيا لإنهاء الأزمة ، وتنازلت فرنسا عن جزء من أملاك ها في الكونغو الفرنسية لصالح ألمانيا، فأطلقت الأخيرة يد فرنسا في المغرب.

أما منطقة البلقان فقد خضعت منطقة البلقان للدولة العثمانية منذ القرن الخامس عشر، واستمرت خاضعة للنفوذ العثماني حتى أواخر القرن التاسع عشر، بدأت الثورة ضد الدولة العثمانية بتحريض من روسيا والدول الأوروبية، وقد نجح اليونانيون في التخلص من الحكم العثماني في سنة ١٨٢٧ بعد مساندة عسكرية برية وبحرية من القوات البريطانية والفرنسية والروسية، واستمر التحريض الروسي ضد الدولة العثمانية. وفي أعقاب معاهدة باريس ١٨٥٦م زاد تغلغل الدول الأجنبية في الدولة العثمانية، تبنت الصرب الحركات الانفصالية في البلقان علي أساس الوحدة السلافية واتخذت روسيا من الصرب مركزاً لنشاطها ضد الدولة العثمانية. وحاولت الصرب من جانبها إيجاد تحالف بين دول

البلقان المسيحي وتعقد بالفعل في الستينيات معاهدات سرية للدفاع والهجوم والتقسيم مع كل من الجبل الأسود ورومانيا واليونان.

أشعلت النمسا أزمة دولية في عام ١٩٠٨ كادت أن تؤدي إلى قيام حرب أوربية شعواء، وذلك أن إعلانها ضم إقليمي البوسنة والهرسك رسمياً إليها تساندها ألمانيا، وكان مؤتمر برلين ١٨٧٨ قد عهد إلى النمسا بإدارة إقليمي البوسنة والهرسك، وكان إمبراطورية النمسا والمجر تضم عدداً من القوميات المختلفة وتحاول الإمبراطورية منع أية قومية من الظهور أو الاستقلال، وقد تزعمت الصرب^(٢٠) آنذاك الدعوة إلى القومية السلافية تساندها في ذلك روسيا، وعند إعلان النمسا ضم البوسنة ثارت الصرب ومن ورائها روسيا، وكادت أن تشتعل حرب في المنطقة، لولا أن الجهود الدبلوماسية حسمت المسألة لصالح إمبراطورية النمسا، ويرجع الفضل إلى مساندة الدول الأوربية وبخاصة ألمانيا.

وقد أدت الأزمات الثلاثة السابقة والتي كانت أسباباً غير مباشرة للحرب إلى توتر العلاقات الدولية وزيادة التحالفات والتحالفات المضادة، كما أدت بشكل مباشر إلى سباق في التسلح البري والبحري، وبخاصة أن التسلح البحري يعد من الأسلحة الحديثة، التي بها تقاس قوة الدول وكان أشد وأقوى التنافس البحري تلك الذي شهده مسرح الأحداث بين إنجلترا وألمانيا فالأخيرة رأت في زيادة تسليحها البحري سبيلاً لإرغام بريطانيا علي عمل حساب لألمانيا في مكان لها تحت الشمس، وبالفعل وضع الأمير الفون تيربيتز "قائد الأسطول الألماني" برنامجاً في مطلع القرن العشرين لنمو الأسطول الألماني، وكان علي بريطانيا أن تواجه الأمر فأما أن تدخل في سباق مع ألمانيا وأما أن تساوم ألمانيا لوقف تسليحها أو الحد منه، وتحتم علي بريطانيا أن تسلك الطريق الأخير، حيث أن الدخول في سباق من هذا النوع يرهق الميزانية ويتطلب فرض ضرائب جديدة، فيكون علي حساب رفاهية رجل الشارع.

(٢٠) قبائل من السلاف استوطنوا شاطئ البحر الإديرياتيكي وانتشروا جنوباً حتى مقدونيا والجبل الأسود وأخضعهم البلغار، وما لبث الصربيون أن شكلوا دولة استولت على البلقان وضمت لأملكهم البوسنة والهرسك في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، نجح العثمانيون في إخضاع الصرب في ١٣٨٩م، ولكن لم يخضع الصربيون للدولة العثمانية بشكل نهائي إلا عام ١٤٥٩م، واستمرت خاضعة للحكم العثماني خمسة قرون متوالية.

حاولت بريطانيا مساومة ألمانيا عام ١٩٠٧، ثم عادت مرة أخرى عام ١٩١٢ فاشتترطت ألمانيا الحصول علي وعد من بريطانيا بعدم الهجوم والحياد عند دخول ألمانيا حرباً ليست فيه معتدية، رفضت بريطانيا الوعد بالحياد ووافقت علي عدم الهجوم، نظراً لارتباطها مع كل من فرنسا وروسيا في اتفاق ثلاثي، وبذلك فشل الاتفاق، فكان لذلك عواقبه الوخيمة.

وإذا كانت ألمانيا قد دخلت في سباق بحري مع بريطانيا فقد دخلت في سباق بري مع جارتها فرنسا، والملاحظ أن نوعية السباق في الحالتين ارتبط بالبعد المكاني وفي إطار التسابق العسكري البري بين ألمانيا وفرنسا نجد الأولى تزيد (عام ١٩١٣) من قواتها العسكرية في حالة السلم من ٦٥٠ ألف مقاتل إلى ٩٠٠ ألف مقاتل، وردت الثانية بزيادة فترة التجنيد من سنتين إلى ثلاث ومما لا شك فيه أن هذا التسابق ناتج عن التوتر الدولي ويهدف في النهاية إلى الاستعداد لخوض الحروب.

وإذا كانت الأزمات الثلاث السابقة تمثل أسباباً غير مباشرة للحرب فإن الأزمة الرابعة تعد سبباً مباشراً للحرب، وقد ارتبطت هذه الأزمة بمنطقة البلقان، تلك المنطقة التي كانت تابعة للدولة العثمانية ما لبثت أن ظهرت القومي السلافية بتشجيع من روسيا منذ السبعينات من القرن التاسع عشر، وتزعمت الحرب الدعوة للقومية السلافية في محاولة للانسلاخ عن الدولة العثمانية وتجميع أشتات هذه القومية في الدول العثمانية والإمبراطورية النمساوية التي أعلن ت ضم البوسنة والهرسك رسمياً عام ١٩٠٨، تمكنت الصرب من جمع الشمل في العصبة البلقانية عام ١٩١٢ فتمكنت من سحق الأتراك، فلم يبق لهم سوي الأستانة، ثم انقلبت الأمور رأساً علي عقب بازدياد الروح القومية في منطقة البلقان فأخذت بلغاريا(٢١) ورومانيا واليونان والصرب والجبل الأسود كل منهم يعمل لخدمة أهدافه علي حساب الآخر فتارت الحروب عامي ١٢ و ١٩١٣م.

(٢١) قبائل طورانية مغيرة سكنت هذه الأرض وأخضعتهم الإمبراطورية الرومانية لحكمها، وظل الصراع قائماً بين هذه القبائل والقبائل الصربية حتى أخضعهم العثمانيون في القرن الرابع عشر، إثر هزيمة السلطان با يزيد الأول على البلغار عام ١٣٩٣م

وبدت الصرب أقوى دولة البلقان، غير أن النمسا تصدت لها في مؤتمر لندن، المنعقد لوضع خريطة جديدة للبلقان، وكانت الصرب ترمي إلى إيجاد منفذ بحري لها علي الأدریاتیک في حين عزمت النمسا علي عدم تنفيذ ذلك، نجد روسيا تساند مطالب الصرب، وكادت تقوم حرباً أوربية لولا سياسة بريطانيا الحكيمة، حيث نجحت في الخروج بالأزمة عن طريق استقلال دولة ألبانيا الصغيرة، ووضع حاكم الباني علي رأسها، وسارت عدوي الحرب مرة أخرى داخل العصبة البلقانية عندما شعرت بلغاريا بعدم الحصول علي تعويض كاف، غير أن الهزيمة فرضت عليها صلح مهين، وكان من نتائج حروب البلقان ضعف الأتراك وهزيمة بلغاريا، بينما قنعت اليونان بما حصلت عليه (أدرنه) وازدياد قوة الصرب بلا منازع فصاروا يحلمون بضم ذوي قرياهم قاطني البوسنة والهرسك وتكوين مملكة تمتد علي الساحل الأدریاتیکي.

ويأتي تصدي إمبراطورية النمسا لمطالع الصرب في إطار خوفها من انتشار عدوي القومية في أملاك ها، وبخاصة في إقليمي البوسنة والهرسك، وهذا العدوان من جانب النمسا دفاعاً عن كيانها حتى أنها ألصقت التهم بالصرب، فقط عندما تسم اغتيال ولي عهدا الأرشيدوق النمساوي فرانتز فرديناند وزوجته عندما كانا في زيارة للعاصمة البوسنية سراييفو علي يد اثنين من شباب صرب البوسنة علي أرجح الأقوال، ممن تشعبوا بدعوي القومية السلافية وذلك في يوم ٢٨ من يونيه ١٩١٤م وبمجرد أن علمت النمسا اتهمت الصرب بالتورط في الحادث، وسرعان ما وجهت إنذاراً شديد اللهجة إلى الحكومة الصربية وطلب الرد خلال ٤٨ ساعة من تاريخ تسليمهم للنمسا للمحاكمة، وحل الجمعيات الصربية التي تتزعم الدعوة ضد النمسا، ولعل ذلك هو الهدف الأصلي، وأخيراً طلبت السماح للمحققين النمساويين البند الأخير وكان من الممكن أن تقوت الصرب الفرصة علي النمسا لو أنها قبلت الإنذار، غير أنها بدافع من روسيا رفضت التسليم بالإنذار، فأعلنت النمسا الحرب علي الصرب، تساندها في ذلك ألمانيا.

العلاقات الدولية إبان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)

أدت الأزمات الأربع التي وقعت خلال الفترة من ١٩٠٥ - ١٩١٤ إلى انقسام الدول الأوروبية إلى معسكرين كبيرين، ودفع بأوروبا والعالم

إلى أتون حرب وصفت بالعالمية، ولم تكن الحرب هدفاً لأي من الأطراف المتصارعة، فلا فرنسا ولا روسيا ولا إنجلترا كانت رغبة في حرب عشية اشتعالها، غير أن النمسا كانت متعطشة للحرب دفاعاً عن كيانها الأسمى، ورغبة في تأديب الصرب نظراً لنشاطها المتواصل في الدعوة إلى القومية السلافية، وذلك بالرغم من أن التحقيقات المبدئية لم تثبت تورط صربياً في حادثة الأرشيدوق النمساوي، والأمر لا يعني براءة الأطراف المصارعة براءة تامة، حيث كانت لكل منهم أطماعه الخفية، فالنمسا ترمي إلى إذلال صربياً وانتزاع ميناء سالونيك من اليونان، وفرنسا ترنو إلى إعادة الإلزام واللورين من ألمانيا، والأخيرة ترمي إلى توسيع مستعمراتها، بينما تهدف روسيا إلى الاستيلاء على مضيق البسفور والدرديل وتتطلع صربياً بشكل جدي لضم البوسنة والهرسك، أما رومانيا فتطلع إلى امتلاك ترانسلفانيا من المجر وبسارابيا من روسيا وتهدف إيطاليا إلى ضم تريستا والترنتينو وكلها أهداف تتطلب قتالاً مبرراً لتحقيقها.

لم يستطع أحد أن يتنبأ بمدة الحرب التي اشتعلت في الثلاثين من يوليو ١٩١٤ والتي بدأت محلية على الحدود بين النمسا والصرب، ومالبت نيرانها أن انتقلت إلى الحدود الألمانية شرقية وغربية، فأوقعت بكل من روسيا وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا في أتون الحرب. وبعد تسعة أشهر وقعت الدولة العثمانية ورومانيا وإيطاليا في الحرب أيضاً. وانقسمت أوربا إلى جبهتين هما الوسط وتقوده ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية والوفاق وتقوده بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة، وعقب انسحاب روسيا من الحرب إثر اشتعال الثورة بها نجحت جبهة الوفاق في اجتذاب الولايات المتحدة الأمريكية وكانت اليابان قد أعلنت إنضمامها للوفاق أيضاً لتصل الحرب إلى أقصى اتساع لها.

ومن سمات هذه الحرب أنه لم يكن هناك خط أيديولوجي واضح فاصل بين المتحاربين فلم يكن للدين أو المذهب وجود فيها، ولم يكن للمذاهب الاقتصادية أثر في تقسيمات طرفي الحرب، كما لم يكن لنظم الحكم وجود في تقسيمات الحرب، فالدول الديمقراطية البرلمانية (الوفاق) ضمت بين صفوفها القيصرية الروسية العتيقة والدول الإمبراطورية (دول الوسط) ضمت بين صفوفها قوميات جديدة صغيرة مثل بلغاريا.

فرضت ظاهرة الأحلاف بصماتها علي التقسيم الدولي. واستحدثت في الحرب الكبرى أسلحة لم تكن معروفة من قبل مثل الدبابة المجنزرة والغواصات والطائرات التي استخدمت في أغراض إلقاء المنشورات خلف خطوط العدو.

ولعل أهم نتائج الحرب العالمية الأولى تلك التي شهدها ميدان شرق ووسط أوروبا حيث اندثرت الدول الإمبراطورية الكبرى (النمسا وروسيا والدولة العثمانية) وظهرت علي أنقاضها دول قومية عديدة، منها يوجوسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا ولتوانيا ولاتفيا واستونيا وبولونيا، وانكشمت تركيا إلى حدودها الحالية وقامت الجمهورية السوفيتية الشيوعية الجديدة علي أنقاض معظم أراضي الإمبراطورية الروسية. وفي المشرق العربي انسلخت القوميات العربية عن الدولة العثمانية، ولكنها لم تنته إلى مصير مماثل للقوميات الأوربية وإنما تم ربطها بالإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية في ظل نظام الانتداب.

لقد خلفت الحرب العالمية الأولى واقعا دوليا جديدا شهد بروز ظواهر وقوى جديدة، بفعل انتصار الثورة البلشفية ١٩١٧ م ثم لاحقا ظهور الأنظمة الفاشية في إيطاليا وألمانيا ثم أسبانيا، تلك النظم التي شهدت انحطاطا على مستوى الحريات، لكنها في المقابل انجزت نقلات هائلة في مجتمعاتها خصوصا على مستوى التصنيع وذلك بفعل سلطة الدولة المطلقة، وقد شكلت الأزمة المالية العالمية عام ١٩٢٩ ضربة هائلة اهتز لها الاقتصاد الرأسمالي الى درجة الانهيار، وكانت هذه الأزمة مناسبة لانطلاق التفكير الليبرالي الى محاولة فهم مكن المشكلة وايجاد المعالجات المناسبة، ومن الملاحظات التي اثارت انتباه منظري الاقتصاد السياسي أن هذه الأزمة لم تمس اقتصاديات الدول الخاضعة لسيطرة الدولة (الاقتصاديات الاشتراكية) بل عصفت فقط بالاقتصاديات الليبرالية الرأسمالية، وبناء على هذه المقارنة ظهرت النظرية الكنزية بوصفها محاولة لتعديل النمط الاقتصادي الرأسمالي، حيث اقترح البريطاني اللورد جون كينز في كتابه الشهير (النظرية العامة) عام ١٩٣٦ حلا قائما على تدخل الدولة، وقد قام بدراسته هذه على أساس دراسة مشكلتين رئيسيتين هما البطالة والنقد، منتقدا النظرية الليبرالية في نظرتها الى سوق العمل، حيث لم تنتبه الى مشكلة البطالة،

ولم تبلور معالجات كفيلة بالتقليل منها. وقد أكد كينز أن البطالة ظلت ملازمة للاقتصاد الليبرالي الرأسمالي، الأمر الذي يدفع نحو وجوب اعتبارها مشكلة حقيقية تحتاج للمعالجة.

وكانت الحرب الكبرى سببا في نجاح أول تجربة شيوعية في العالم على أنقاض الإمبراطورية الروسية، إذ لم يحتل الروس ويلات الحرب حتى نهايتها، حيث أدى الجوع والفقر وملايين القتلى والجرحى إلى اشتعال ثورة الغوغاء، وفي المرحلة الثانية قادها لنين وتروتسكي، فأقاما دكتاتورية عمالية وقد جاء إرضاء للعمامة علي حساب الطبقات الغنية والوسطى. وأعلنت الثورة البلشفية منذ البداية أنها تناضل من أجل إنهاء الأطماع الامبريالية وتوقيع اتفاقية سلام عالمية، وفي ٢٦ أكتوبر ١٩١٧ وفي المؤتمر الثاني لمجالس السوفيات أعلن مرسوم السلام الذي دعا كل الدول لبدء المفاوضات من أجل وضع حد للحرب العالمية الأولى، جاء في المرسوم الموجه لجميع الشعوب والحكومات "أن النضال من أجل السلام بدأ، والنضال سوف يكون صعبا وعنيدا. إن الامبريالية، العالمية جمعت كل قواها ضدنا" ولقد حدد لينين سمات هذا السلام مؤكدا على أن يكون عادلا وديمقراطيا، كما أكد في الوقت نفسه أن مرسوم السلام لن يكون شرطا للسلام، بل نحن مستعدون لمناقشة جميع آرائنا ومقترحاتنا الواردة في مرسوم السلام، ومنذ الأيام الأولى للثورة الشيوعية والسلطة السوفيتية كانت قد فضحت وأعلنت لجميع الشعوب الوثائق الإمبريالية والمعاهدات الموقته وبهذه الخطوات أكدت الحكومة السوفيتية رفضها القاطع للدبلوماسية السرية وجرتأها في فضح جوهر الخطط الامبريالية أمام أعين الشعوب. لقد قامت الثورة البلشفية.

أما بالنسبة لمعاهدات الصلح في باريس ١٩١٩ فقد شارك فيها وفود كثيرة برئاسة الرئيس الأمريكي ولسن ورئيس الوزراء الانجليزي لويد جورج والفرنسي كلمنصو، لم تشفع مبادئ ولسن المثالية لألمانيا المستسلمة، حيث أملى عليها الوفاق شروط الصلح، فقبلتها صاغرة كما فعلت هي من قبل مع روسيا في برست ليتوفسك ومع رومانيا في معاهدة بوخارست مايو ١٩١٨ م، فدائماً مثل هذه المعاهدات تكون

قاسية علي المستسلم، وقد اتفق الجميع علي مبدأ تقرير المصير والقضاء علي الروح العسكرية الألمانية التي تسببت في نشوب الحرب. عملت معاهدات الصلح علي قص أجنحة ألمانيا وإمبراطورية النمسا والمجر فمنعت التجنيد الإجباري وحددت الجيش وألزمت ألمانيا بغرامة مالية تدفعها للحلفاء، وعملت علي تفتيت إمبراطورية النمسا، فاقطعت منها البوسنة والهرسك وكرواتيا لصالح يوجوسلافيا وفصلت النمسا عن المجر واقتطعت أجزاء كبيرة لصالح رومانيا، واستقل التشيك والسلوفاك في جمهورية تشيكوسلوفاكيا، كما اقتطعت أجزاء أخرى لصالح فرنسا (الإلزاس واللورين) أما إقليم السار فيخضع لفرنسا لمدة ١٥ سنة ثم يجري عليه استفتاء، كما استقلت لتوانيا ولاتفيا واستونيا وفنلندا عن الاتحاد السوفيتي وحصلت إيطاليا علي الترينينو وتريستا.

العلاقات الدولية في عصر التنظيمات (عصبة الأمم) ١٩١٩-

١٩٣٩

تعرضت دول العالم وبخاصة أوروبا لأزمة مالية طاحنة في النصف الثاني من عشرينيات القرن العشرين، الأمر الذي أجبر بريطانيا علي تخفيض قيمة الجنيه الإسترليني إلى النصف. وأدت الأزمة المالية إلى التفكير في إلغاء مبدأ حرية التجارة الذي أقرته بريطانيا منذ عام ١٨٤٦م، في محاولة للحصول علي موارد جمركية لدعم الميزانية، فقرر مستر رمس مكدونالد رئيس الوزراء نبذ مبدأ حرية التجارة الذي يقضي بعدم فرض رسوم جمركية علي الواردات.

كانت بيئة الفقر والجوع والمرض التي أفرزتها الحرب العالمية الأولى أرضاً خصبة لإنبات دكتاتوريات جديدة واحتضانها، ، علي أمل أن يجد فيها العامة أداة للوصول إلى حياة كريمة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفقر والجوع والمرض في أوروبا لم يكونا نتاج الجهل أو التخلف وإنما نتاج الحرب العظمي التي أتت علي الأخضر واليابس، وفي ظل النظم الرأسمالية واجه العالم وليس أوروبا فقط في سنوات ما بعد الحرب ظاهرة الفقر الشديد والحرمان رغم توفير الخبرات لدي طبقات معينة، ففي الوقت الذي عاش فيه ملايين البشر خاوي البطون عاري الأبدان كانت الطبقات الرأسمالية الكبرى تدمر المحاصيل لزيادة أثمانها، إلى

الدرجة التي أفقدت الشعوب إيمانها بالديمقراطيات وظهر الإيمان بمبدأ الاقتصاد المنظم الذي يضمن حياة كريمة للجميع.

فنبنت الشيوعية في روسيا وأخذت بيدها إلى مصاف الدول الحديثة باسم الاتحاد السوفيتي، فجعلت العمل إجبارياً فلم يعد هناك بطالة، ومع أنه ثبت ضرورة تمييز مهرة العمال بأجور خاصة إلا أن هذا التمييز لم يؤثر في المساواة الاجتماعية التي تمتعت بها طبقة العمال، كما أصبح التعليم عاماً وأبدت الدولة اهتماماً بالصحة العامة والرياضة، كما أقامت الحكومة مدناً جديدة وأدخلت صناعات جديدة. وقبل الإيطاليون بدكتاتورية موسوليني عله ينجح في حل أزمت الوقود والخبز ويجد طريقاً للعدالة الاجتماعية، فقد اعتبره الإيطاليون أحد القياصرة جاء ليعيد أمجاد روما مرة أخرى وفي مقابل ذلك تناسوا حرياتهم. وبعد أن اشتدت الأزمة المالية بألمانيا وفقدت اشتراسمان سنة ١٩٢٩ ذلك الرجل الذي انتشلها في اعقاب الحرب العالمية الأولى، وصل إلى الحكم هتلر والحزب النازي الذي سام أوربا سوء العذاب وقادها لحرب أشد ضراوة من سابقتها.

في عصر التنظيمات كان من المفترض أن ينتهي تسلط الدول الأوروبية الكبرى على العالم، وأن تنهار سياسة توازن القوى ويحل محلها نظام الأمن الجماعي، الذي يقوم على مبدأ التزام جميع الدول بنبذ الحرب ومناهضة العدوان والتصدي له، أياً كانت الدولة المعتدية وأياً كان سبب عدوانها، ذلك أن معاهدة الأمن الجماعي تختلف عن الأحلاف والمعاهدات التي تقوم عليها توازن القوى، فهذه المعاهدات تقيم التزامات بين عدد معين من الدول بينما تعني معاهدة الأمن الجماعي بامتداد هذه الالتزامات لتشمل سائر أعضاء المجتمع الدولي، وقد تبلور مفهوم الأمن الجماعي بإنشاء عصبة الأمم بمقتضى معاهدة فرساي في ٢٨ يونيو ١٩١٩ التي وقعتها اثنتان وثلاثون دولة لوضع أسس الصلح وإبعاد شبح الحرب والوصول إلى تسوية عامة بشأن الممتلكات التابعة لألمانيا وتركيا.

إن عدم فاعلية المؤتمرات والمعاهدات الدولية التي عقدت في السباق من جانب، وتخلخل ميزان القوى في هذه المنطقة من العالم من جانب آخر، والذي نتج عنه تعرض البشرية لأول حرب عالمية، كل

هذه الأسباب دفعت الدول وقادتها ومنظريها بالتفكير بجدية لتحقيق الأمن والسلام الدوليين وللمساهمة في تعزيز العلاقات الدولية وفقا لأسس جديدة. لقد أثبتت المعارك الحربية التي دارت خلال الحرب العالمية الأولى ضرورة تغيير النظام الدولي التقليدي، وإنشاء منظمة دولية تهدف إلى الحد من التسلح، وتحقيق الأمن والسلام لجميع الدول، ومنع الدول من استخدام القوة لحل المنازعات الدولية، وإحلال نظام الأمن الجماعي محل نظم الأمن الفردية التي سادت في ذلك الوقت، وإخضاع مبدأ السيادة لسلطة دولية تملك سلطة تنفيذ القرارات الصادرة رغما عن الدول الأعضاء في هذه المنظمة.

والغريب أن الولايات المتحدة صاحبة الفكرة لم تتضمن لعصبة الأمم، وقد يعزى ذلك الأمر إلى الخلاف الواقع بين الرئيس الأمريكي ولسن بديمقراطيته ومثالياته والحزب الجمهوري المعارض صاحب الأغلبية في مجلس الشيوخ، وصاحب القرار الحقيقي هي الولايات المتحدة الأمريكية. اجتمعت الجمعية الأولى للعصبة في سبتمبر ١٩٢٠م بحضور الأعضاء المنضمين وعددهم أربع وأربعين دولة واتخذت العصبة موقفاً من الدول المهزومة (ألمانيا والنمسا وتركيا) فاعتبرتها دولاً لم تصل إلى حد النضوج الكافي للانضمام للعصبة ووقفت روسيا في ثوبها الجديد (الشيوعية) بعيداً عن العصبة ولم تنضم لها إلا في عام ١٩٣٤م.

وكانت المشكلة المستعصية التي واجهت العصبة منذ إنشائها مشكلة التسليح ويرجع فشل العصبة في مواجهة قضية التسليح إلى عدم توفر الرغبة الصادقة لدى الدول الكبرى لحل هذه المشكلة، فبخلاف بريطانيا التي جسرت علي خفض تسليحها البري لم تقم أية دولة أوروبية أخرى بخطوة ايجابية في هذا المجال فألمانيا تطالب الأمم المتحدة بأن تعاملها في مسألة التسليح بالمثل مع جيرانها، وفي الوقت نفسه كانت فرنسا علي الجانب الآخر تخشي من تسليح ألمانيا حتى لا تنجح إلى الحرب مرة أخرى وما لبثت العصبة أن واجهت تحديات خطيرة أطاحت بها وبالسلام في النصف الثاني من العقد الرابع للقرن العشرين.

ولقد شكل قيام عصبة الأمم التي تأسست في شهر يناير ١٩١٩م عهداً جديداً في العلاقات الدولية حيث أنها أول منظمة سياسية

دولية ذات طابع عالمي تتمتع بالشخصية القانونية، أخذت على عاتقها توفير وضمان السلام والأمن الدوليين. إن الأهداف الرئيسية لهذه المنظمة الدولية تتجسد في صيانة السلام والأمن الدوليين وتوثيق التعاون بين الدول وتنميته، ومن أجل الوصول إلى هذه الأهداف الرئيسية تعهدت جميع الدول بالالتزام بالمبادئ الآتية:

- عدم اللجوء إلى القوة من أجل حل القضايا الدولية
 - احترام قواعد القانون الدولي
 - احترام الالتزامات والعهد التي تنص عليها المعاهدات الدولية
 - قيام علاقات طيبة بين الدول على أساس العدل والمساواة
- ولقد اهتم بالدعوة لهذه المنظمة الدولية العديد من المؤسسات والشخصيات السياسية، إلا أن أبرزها كان الرئيس الأمريكي ولسن الذي بدأ دعوته لها انطلاقاً من معارضته للفكرة القائلة بضرورة إدارة الدول الكبرى للعالم وكذلك انطلاقاً من قناعته بأن توازن القوى الأوروبي كان السبب في اندلاع الحروب وعلى رأسها الحرب العالمية الأولى، ومع كل هذا لم تستطع العصابة حل المشاكل الدولية الناجمة، وتبين ذلك بوضوح من خلال ضعفها وتضاؤل فاعليتها في نشر الأمن والمحافظة على السلام الدولي، إذ أنها ظلت طوال الأربع عشرة سنة الأولى من وجودها منهكة في إصلاح وتعديل هيكلها التنظيمي. إن السبب الرئيس في فشل العصابة في تنفيذ ما خطط لها يكمن في تنامي النزاعات الاستعمارية لدى الدول الكبرى، حيث وجدت هذه الدول أن مبادئ العصابة لا تلبى أطماعها الاستعمارية، فطغت عقلية المنافسة الاستعمارية وروحية التوسع والهيمنة استناداً إلى مبدأ القوة في العلاقات الدولية تجلّى ذلك في أطماع اليابان في منشوريا ١٩٣١ فدخلت في صراع مع الصين امتد ليكون أحد فصول الحرب العالمية الثانية، وتمثل أيضاً في أطماع إيطاليا في الحبشة ١٩٣٥ / ١٩٣٦، وأطماع ألمانيا في النمسا ١٩٣٨ وتشيكوسلوفاكيا وصولاً إلى تقسيم بولندا مع الاتحاد السوفيتي ١٩٣٩م، وأمام كل هذه التجاوزات وعدم توفر الرغبة الصادقة فشلت عصابة الأمم في حل المشكلات، ونتيجة أيضاً لعدم تسليحها تلقت عدة صفعات في الشرق الأقصى والحبشة ووسط أوروبا وشرقها، فانهار النظام العالمي الجديد وانساق العالم إلى حرب كبرى ثانية.

العلاقات الدولية إبان الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥

جمعت المصالح ألمانيا والاتحاد السوفيتي في تقسيم بولندا في سبتمبر ١٩٣٩، ثم انفصلتا وبقيت كل منهما تترصد بالأخرى عبر حدودهما المشتركة الناتجة عن تقسيم بولندا، بينما جمع الخوف من أطماع ألمانيا بين بريطانيا وفرنسا، أخذت ألمانيا بزمam المبادرة في مهاجمة بولندا ثم بلجيكا وهولندا والدانمرك ثم اسويد والنرويج فرنسا التي فرت حكومتها إلى ميناء بورجو ومنها إلى لندن، ثم بدأ في حصار الجزيرة الإنجليزية، وكادت الحرب الأوربية أن تنتهي لولا بسالة بريطانيا. ومع هزائم إيطاليا اضطرت حليفاتها إلى تخفيف الحصار عن إنجلترا وادتياح شرق أوربا وعبرت إلى شمال أفريقيا حيث اجتاحت ليبيا وتقدمت في الأراضي المصرية حتى العالمين، وظلت بها حتى لقيت هزيمة مؤثرة في أكتوبر ١٩٤٢، وأخطأت ألمانيا بفتح جبهة جديدة مع الدب الروسي، فإذا كانت قد حققت مكاسب أرضية، لكن سياسة الأرض المحروقة قضت على هذه المكاسب، ولعبت الأرض بقسوة البرودة مع صاحبها، وخسرت ألمانيا في معارك ١٩٤٢ أكثر من ربع قوتها في الجبهة الشرقية.

وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة العطف على الحلفاء منذ يوليو ١٩٤٠، عندما أعلن الرئيس روزفلت أن مبدأ منرو يحتم علي بلاده حماية مستعمرات الحلفاء في الأمريكتين حتى يمنع ألمانيا من الاستيلاء علي مستعمرات فرنسا وهولندا بعد سقوطهما في أيديها ومع بداية سبتمبر ١٩٤٠م زاد التعاون بين الولايات المتحدة والحلفاء حيث تم الاتفاق علي أن تقرض الولايات المتحدة بريطانيا خمسين مدمرة مقابل تأجير بريطانيا لها عدد من القواعد البحرية والجوية في نيوفونديلاند وجزر الهند الغربية لمدة ٩٩ سنة ثم زاد مساعدتها للحلفاء بمقتضي قانون الإعارة والتأجير الذي اعتمده روزفلت في مارس ١٩٤١ وظل طوال مدة الحرب، وبمقتضاه حصل الحلفاء من الولايات المتحدة علي أسلحة ومعونات حربية تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ مليار دولار وتنازلت الولايات المتحدة عنها لحليفاتها بعد الحرب، ثم التقى روزفلت مع ونستون تشرشل في ١٤ أغسطس ١٩٤١ في نيوفوند لاند، حيث وقعا ميثاق الأطنطي الذي حوي نقاط مماثلة لمبادئ ولسن الأربعة

عشر، وتوقيع الميثاق في هذه الظروف يعد اعترافا من الدولتين بحكمة ولسن الذي لم تطبق مبادئه في فترة ما بين الحربين.

وفي صباح يوم الأحد ٧ ديسمبر ١٩٤١ شنت القوات اليابانية حربا بقاذفات القنابل علي وحدات الأسطول الأمريكي الرابض في ميناء بيرل هاربر بجزرها وأي فأبادته عن بكرة أبيه، وقضت علي التفوق البحري الأمريكي في المحيط الهادئ بضربه واحدة وهاجمت الطائرات اليابانية المطارات الأمريكية في الفلبين، فألحقت بها خسائر هائلة، وعلي الفور أعلنت الولايات المتحدة الحرب علي اليابان وأعلنت كل من ألمانيا وإيطاليا الحرب علي الولايات المتحدة.

وعلي الجانب السوفيتي تمكن الحلفاء من توصيل إمداداتهم للسوفييت عبر إيران، فنجح السوفييت في وقف الزحف الألماني في معركة ستالينجراد وبدأ الكرة لصالح السوفييت وأخذ الألمان في التراجع التدريجي البطيء طول عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤، فاستعاد السوفييت لننجراد في يناير ١٩٤٣، ثم أوكرانيا في مارس ١٩٤٤ فشبه جزيرة القرم في مايو ١٩٤٤ فأصبحت القوات الألمانية علي حدود بولندا القديمة ورومانيا.

وإذا كان العالم قد أصبح أكثر تعقيدا وخريطة أوربا أكثر استقرارا فقد ركز ساسة الحلفاء قرب نهاية الحرب العالمية الثانية ومع تأكدهم من انتصارهم ركزوا في مؤتمراتهم المتلاحقة علي إعادة الأوضاع الأوربية إلى ما كانت عليه قبل الحرب مع تفتيت ألمانيا، ففي مؤتمر موسكو (أكتوبر ١٩٤٣) قرر وزراء خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا سقوط الاتحاد بين ألمانيا والنمسا وتشكلت لجنة استشارية أوربية في لندن لوضع المبادئ الأساسية التي تتعامل ألمانيا علي أساسها بعد الحرب.

اقترحت اللجنة الاستشارية الأوربية (في يناير ١٩٤٤) حرمان ألمانيا من قدراتها الصناعية وتحويلها إلى بلد زراعي بدائي وتمزيق وحدة ألمانيا واختلقت الرؤية بين الحلفاء حول تقسيم ألمانيا فاقترحت بريطانيا، (في ١٥ يناير ١٩٤٤) أن يحتل الاتحاد السوفيتي المناطق الشرقية وهي مساحة تقدر بحوالي ٤٠ % من أراضي ألمانيا، بينما تحتل بريطانيا الشمال الغربي لألمانيا بما فيه منطقة الرهر الصناعية،

وتحتل الولايات المتحدة المناطق الجنوبية المتاحة للأراضي الفرنسية، وتقسم برلين بين ثلاث مناطق نفوذ وافقت الولايات المتحدة علي التقسيم بعد إجراء تعديلات في المنطقتين البريطانية والأمريكية حيث منحت الأخيرة منفذاً علي المحيط مروراً بمنطقة النفوذ البريطاني.

وتمكنت الجيوش الروسية من هزيمة القوات الفنلندية، التي سلمت في نهاية أغسطس ١٩٤٤ وتعهدوا بأن ينسحبوا إلى حدودهم عام ١٩٤٠ وبعد هزيمة القوات الألمانية قرب الحدود الروسية في أواخر يونيو ١٩٤٤ فاستعادوا دويلات البلطيق الثلاث، ثم سقطت مدن بولندا الواحدة تلو الأخرى حتى وصلوا إلى مشارف وارسو، غير أن الألمان اجمعوا شتات قوتهم واستماتوا في القتال، فاعلقوا تقدم القوات الروسية، وبدأ هجوم روسي جديد في البلقان، فتوغلوا في أراضي رومانيا التي أعلنت قبولها الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي في أغسطس ١٩٤٤ وإعلان الحرب علي ألمانيا ثم عبرت القوات السوفيتية حدود المجر وتقدمت نحو بودابست فسلمت وعقدت هدنة مع السوفييت في ٢٠ يناير ١٩٤٥ أما بالنسبة لليونان فقد انسحبت منها القوات الألمانية بمجرد أن نزلت قوة بريطانية علي سواحلها، وذلك لحرص موقف الألمان في البلاد ودخل السوفييت فينا عاصمة النمسا ومنها توجهوا نحو برلين.

وأقر مؤتمر يالطا (فبراير ١٩٤٥) مسألة تقسيم ألماني إلى ثلاث مناطق نفوذ، وتشكيل مجلس أعلي للإشراف عل عملية التقسيم، ونجح تشرشل في إقناع حليفته باقتطاع منطقة رابعة لصالح فرنسا تضم أقليم السار من المنطقة البريطانية وجزء من المنطقة الأمريكية كما أقر المؤتمر بصفة مبدئية مسألة التعويضات الحربية بمبلغ عشرين ألف مليون دولار.

وفي فبراير ١٩٤٥ شنت قوات الحلفاء هجوماً علي الأجزاء الباقية من فرنسا، ثم سقطت مدن السار في أيديهم في مارس ١٩٤٥ ونجح منجمومي في التقدم داخل الأراضي الألمانية وتطويق أقليم الروهرو الغني بمناجم ومصانع الحديد، وانتهت مقاومتها نهائياً في ١٨ إبريل ثم زحف الحلفاء إلى قلب ألمانيا التي انهارت مقاومتها، واستسلمت أنقاض المدن الألمانية الواحدة تلو الأخرى ثم طوقوا برلين من جهة الغرب في حين طوقها الروس من جهة الشرق، وسلمت برلين في

الثاني من مايو ١٩٤٥ فألقي الألمان السلاح في كل مكان، وانتحر هتلر أسفل دار المستشارية وفي ٧ مايو وقع رئيس هيئة الأركان الألمانية وثيقة التسليم بدون قيد أو شرط.

تفرغ الحلفاء بعد سقوط دولتي المحور لليابان شن الحلفاء هجوماً على فتوحات اليابان وفي يناير ١٩٤٥ تمكنت القوات البريطانية من دخول بورما، كما سيطرت قوات الحلفاء على جزر المحيط الهادي، الأمر الذي هدد خطوط تمويل اليابانيين كما تمكن الأمريكيون من الاستيلاء على الفلبين في النصف الأول من عام ١٩٤٥ وأخذ الحلفاء يقتربون من جزر اليابان شيئاً فشيئاً حتى طوقت القوات الأمريكية الجزر اليابانية وأمطرت مدنها بالقنابل فألحقت بها خسائر فادحة وأصبح موقف اليابان حرجاً بعد تسليم ألمانيا.

قدم الحلفاء إنذاراً لليابان في ٢ يوليو ١٩٤٥ بالتسليم دون قيد أو شرط وألا تعرضت للدمار التام تجاهلت اليابان الإنذار فقامت طائرة أمريكية بإلقاء قنبلة ذرية على مدينة هيروشيما في ٦ أغسطس ١٩٤٥م فأحدثت تدميراً هائلاً شمل حوالي أربعة أميال مربعة بكل ما فيها من مباني وبشر وزرع، وبلغ عدد قتلي هيروشيما ١٨٠ ألف قتيل و ١٢٠ ألف جريح وتشرّد ٢٠٠ ألف، وفي يوم ٩ أغسطس ألقت القنبلة الثانية على مدينة نجازاكي واستغلت روسيا الفرصة واستولت على منشوريا يوم ٨ أغسطس فاضطرت اليابان إلى التسليم في ١٥ أغسطس وفي ٢ سبتمبر وقع مندوبو اليابان اتفاق التسليم وبذلك انتهت الحرب العالمية الثانية بعد حرب دامت ست سنوات كاملة.

واقطعت فرنسا لنفسها إقليم السار، ولم يعد لألمانيا إلا بمقتضى اتفاق (أكتوبر ١٩٥٦) الذي عقد بين ألمانيا وفرنسا، وكثرت مطامع الدول المحيطة لاقتطاع أجزاء من ألمانيا في إطار قص أجنحتها. ولم يكن تقسيم ألمانيا إلى أربع مناطق نفوذ هو الحل النهائي لمشكلة ألمانيا، حيث شهدت السنوات التالية للحرب محاولات متفرقة لإعادة توحيد ألمانيا على الأقل سياسياً لا اقتصادياً، مع اتخاذ إجراءات أخرى بحرمانها من قدراتها العسكرية لمدة أربعين عاماً فناقش مؤتمر موسكو (١٠ مارس ١٩٤٧) نمط حكومة ألمانيا المستقبلية وشهد المؤتمر خلافاً حاداً، حيث أصرت فرنسا على تقسيم ألمانيا وقيام حكومة اتحادية

ضعيفة، وطالبت روسيا بقيام حكومة مركزية، في حين تمسكت بريطانيا والولايات المتحدة بحكومة اتحادية قوية وقد نبعت مطالب فرنسا من خوفها الشديد من عودة ألمانيا إلى قوتها ومن ثم تهديد فرنسا مرة أخرى ومع تبلور السياسة العالمية في قطبين شرقي وغربي زادت مسألة الاتفاق علي شكل الحكومة الألمانية تعقيداً.

عندما تيقنت الولايات المتحدة الأمريكية من إصرار الاتحاد السوفيتي علي أي حلول يقدمها الغرب اجتمع وزير خارجيتها مع نظيره الفرنسي والبريطاني في لندن (٢٣ فبراير ١٩٤٨م) للاتفاق علي توحيد المناطق الغربية الثالث وفي بون اجتمع أول مجلس برلماني من ٥٥ عضواً (في أول سبتمبر ١٩٤٨) لإعداد دستور لألمانيا الغربية، ووضعت منطقة الروهر تحت إشراف دولي غربي، وفي يونيو ١٩٤٩ أصبح المارك الألماني هو عملة ألمانيا الغربية، حاول الاتحاد السوفيتي أثناء الغرب عن تقسيم ألمانيا بهذا الشكل فحاصر برلين لمدة شهر، غير أن الغرب قام بتمويل برلين الغربية جواً وفي مايو ١٩٤٩ صدر أول دستور لألمانيا الغربية جعل منها جمهورية فيدرالية مكونة من إحدى عشرة ولاية وفي أغسطس تم انتخاب كونراد أدناور أول مستشار لألمانيا الغربية واتخذت من بون عاصمة لها.

وفي ٧ أكتوبر ١٩٤٩م رد الاتحاد السوفيتي بإعلان إنشاء جمهورية ألمانيا الديمقراطية في المنطقة الواقعة تحت نفوذه، وعرفت فيها بعد بألمانيا الشرقية واتخذ من برلين الشرقية عامة لها وبعد ثلاثة أيام تم حل الحكومة العسكرية وسلمت الإدارة للألمان هكذا قسمت ألمانيا قسمين أو دولتين.

الفصل الرابع

العلاقات الدولية

في ظل الحرب الباردة

الامم المتحدة وعصر التنظيمات الثاني

ظهرت الخطوات الأولى في طريق إنشاء منظمة الأمم المتحدة في الوثيقة الشهيرة التي وضعها كل من تشرشل وروزفلت، التي عرفت بميثاق الأطنطي والتي نصت على إيجاد نظام للأمن قائم على قواعد أوسع. ثم كانت الخطوة الثانية في يناير ١٩٤٢ في تصريح الأمم المتحدة، ثم تجلت الخطوة الثالثة في مؤتمر موسكو في يونيو من عام ١٩٤٣ والذي أقر فيه إحداث منظمة دولية تقوم على أساس المساواة بين جميع الدول المحبة للسلام تؤكد هذا القرار في مؤتمر طهران والذي جمع لأول مرة الزعماء الثلاثة : روزفلت، ستالين، تشرشل، وفي ديسمبر عام ١٩٤٣ شكلت هيئة دراسات مركزها واشنطن، لوضع المبادئ التي ستقوم عليها المنظمة الوليدة، عقدت الهيئة على مرحلتين وعقدت اجتماعاتها في فندق دومبارتن أوكس بواشنطن، ثم في سان فرانسيسكو، أما في مؤتمر يالطا الذي انعقد في الفترة بين ٤ - ١١ فبراير ١٩٤٥ فقد ناقشت قضية حق الدول الكبرى في ممارسة النقض (الفيتو) ومجلس الأمن وإنشاء نظام للصاية يحل محل نظام الانتداب الذي كان سائدا بين الحيين العالميتين.

أما مؤتمر سان فرانسيسكو الذي انعقد في ٢٥ إبريل ١٩٤٥ واستمر لمدة شهرين، فقد تم فيه إعداد ميثاق المنظمة الدولية الجديدة، وقد حضر هذا المؤتمر ممثلو ٥١ دولة والذي تم إقراره في ٢٦ يونيو ١٩٤٥ حيث تضمن الميثاق ديباجة و ١١١ مادة ، بالإضافة إلى النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية والمكون من ٧٠ مادة، أما مبادئ هذه المنظمة وأهدافها، فقد تناولها الميثاق في مادتيه الأولى والثانية بالإضافة إلى الديباجة، وانطلاقا من الديباجة واعتمادا على المادة الأولى يمكن اعتبار أهداف هيئة الأمم المتحدة تتمثل في "حفظ السلم والأمن الدوليين، إنماء العلاقات الودية بين الأمم، تحقيق التعاون الدولي على حل المشكلات الدولية، وجعل هذه الهيئة مرجعا لتنسيق الأعمال وتوجيهها نحو إدراك هذه الغايات المشتركة، أما المادة الثانية من الميثاق فقد نصت على ما يأتي:

١. تقوم الهيئة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها.

٢. لكي يكفل أعضاء الهيئة لأنفسهم جميعا الحقوق والمزايا المترتبة على صفة العضوية يقومون في حسن نية بالالتزامات التي أخذوها على أنفسهم بهذا الميثاق.
 ٣. يفض جميع أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية بما لا يعرض السلم والأمن والعدل الدوليين للخطر.
 ٤. يتمتع جميع أعضاء الهيئة في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة.
 ٥. يقدم جميع الأعضاء كل ما في وسعهم من عون إلى الأمم المتحدة، في أي عمل تتخذه وفق هذا الميثاق، كما يتمتعون عن مساعدة أية دولة تتخذ الأمم المتحدة إزاءها عملا من أعمال المنع أو القمع
 ٦. تعمل الهيئة على أن تسير الدول غير الأعضاء فيها على هذه المبادئ بقدر ما تقتضيه ضرورة حفظ السلم والأمن الدوليين.
 ٧. لا تتدخل الأمم المتحدة في الشؤون الداخلية لدولة ما، وليس للدول الأعضاء أن تعرض مثل هذه المسائل، على أن هذا المبدأ لا يخل بتطبيق تدابير القمع الواردة في الفصل السابع.
- وبتأسيس الأمم المتحدة تكون العلاقات بين الدول قد أخذت منحى جديدا قائما على أساس نبذ القوة وعدم استخدامها أو التلويح بها في العلاقات الدولية، إلا أن كثيرا من المبادئ والقرارات ظلت حبرا على ورق، ولم تترجم إلى الواقع العملي، بسبب تحكم الدول الكبرى في قراراتها. فهل فشلت منظمة الأمم المتحدة هي الأخرى في أداء دورها وتحقيق المبادئ والأهداف التي قامت من أجلها؟
- لقد أصبحت العلاقات الدولية في ظل المنظمة الجديدة (الأمم المتحدة) تدور حول محورين أساسيين هما:
- الأول: العلاقات الأمريكية السوفيتية أو العلاقات بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي.
- والثاني: العلاقات بين الشمال والجنوب أو بين الدول الغنية والدول الفقيرة أو دول العالم الثالث.

وإذا كان المحور الأول للعلاقات الدولية يدور حول خلافات وقضايا سياسية وأيدلوجية تتبلور بصفة خاصة في مشاكل الأمن القومي والعسكري لكل من القوتين، ووسائل الحد من الأسلحة النووية ومشكلات المجال الحيوي أو مناطق النفوذ، فإن البعد الثاني وهو العلاقات بين الشمال والجنوب قد اخذ صبغة اقتصادية لأنه ركز على قضايا العلاقات الاقتصادية الدولية ومشاكل التنمية التي تواجه العالم الثالث.

إن الأسباب الرئيسة التي تكمن في ضعف وعدم قدرة المنظمة الدولية الجديدة على حل المشاكل الدولية، تكمن في حدة الصراعات التي ظهرت وما زالت تظهر بين الدول الكبرى خاصة بين الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن، والناجمة عن اختلاف المصالح بينهما عامة وبين الكتلتين الشرقية والغربية بصفة خاصة، حيث نلاحظ أن امتياز حق النقض (فيتو) قد مكن الدول الامبريالية عموما وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية من تعطيل كثير من القرارات الهامة المتخذة لصالح الشعوب، كما أن مجلس الأمن قد فشل ولمرات عديدة في اتخاذ قرارات تتلاءم ومصالح الشعوب، كما أنها تساهم في وضع معالجات جدية للمشاكل الدولية القائمة، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك استخدام الولايات المتحدة الأمريكية حق الفيتو ضد أي مشروع قرار لإدانة إسرائيل.

إن عالم الحرب الباردة قد اختلف جذريا عمّ كان عليه في عام ١٩٤٦، وانطلاقا من هذه الحقيقة فإن الدول التقدمية والثورية ودول العالم الثالث غدت مدعوة إلى إعادة النظر في ميثاق الأمم المتحدة ونظامها كاملا، لاسيما حق الفيتو، وذلك لأنه يعرقل الآلية التي تعمل بها الأمم المتحدة، فأصبحت عاجزة عن مواكبة الأحداث والتطورات، وغير قادرة على حل المشكلات الدولية. وكان الأجدر بجميع الدول العمل على بناء تنظيم دولي جديد، يأخذ على عاتقه التعبير عن إرادة الشعوب، وان يقوم على أسس ومبادئ عادلة بعيدة عن النزعات الاستعمارية ودعاة الحروب، ويتجاوز السلبيات التي وجدت في عصبية الأمم وهيئة الأمم المتحدة. إن العالم المعاصر الذي شهد ويشهد تزيادا ملحوظا في عدد المنظمات الدولية يعكس تنامي الشعور بالحاجة إلى

تنظيم العلاقات السياسية الدولية وتنمية التعاون بين شعوب العالم ودوله. إن التفكير السياسي الجديد يتطلب الاعتراف ببديهية بسيطة أخرى وهي أن الأمن كل واحد لا يتجزأ، وهو يمكنه أن يكون متساويا فقط للجميع أو لا يكون إطلاقاً، ويقوم أساسه المتين والوحيد على الاعتراف بمصالح سائر الشعوب والدول، والمساواة فيما بينها في حياة حرة كريمة دون خوف من جور الدول الكبرى وتدخلاتها.

الحرب الباردة THE COLD WAR

ويمكن تعريف الحرب الباردة بأنها حرب تستخدم فيها الأطراف المتصارعة كل أنواع القوة الممكنة عدا القوات المسلحة، بقصد إرغام العدو على التسليم لإرادة الطرف المنتصر وتسود خلال فترة هذه الحرب حالة من التوتر الشديد في العلاقات بين الأطراف المتصارعة بحيث يشعر كل طرف بأنه مهدد بمخاطر احتمال العدوان المسلح، الأمر الذي يقتضي تكريس جزء كبير من الدخل القومي لسباق التسلح. وعلى ذلك فالحرب الباردة نهج سياسي عدواني متبادل بين الكتلة الغربية بقيادة الولايات المتحدة والشرقية بقيادة الاتحاد السوفيتي في نهاية الأربعينات، وتحديداً بعد تقسيم ألمانيا، لكنها لم ترق إلى حد الصراع المسلح، وقد اتسمت هذه الحرب بسباق التسلح وبالذات السلاح النووي، وحاولت الولايات المتحدة وحلفاؤها تطويق الاتحاد السوفيتي بحاجز من الدول التي تربطها معاهدات دفاعية بحلف شمال الأطلسي مثل حلف بغداد، وكذلك استخدام القوة في العلاقات الدولية، ورفض كل المحاولات الجادة لحل النزاعات الدولية عن طريق المفاوضات.

أما عن دوافع الحرب الباردة فقد تعددت الآراء التي تناولت دوافع تلك الحرب، فبالإضافة إلى الخلاف الأيديولوجي بين الطرفين الذي يستحيل معه التعايش السلمي أو الوفاق الدولي، ما لم يجمعهما عدو مشترك، هناك العداء المتبادل والشك وانعدام الثقة والخوف الذي يكنه كل طرف للآخر، فقد كانت القيادات السوفيتية والأمريكية شديدة الحذر تجاه بعضهما، لذا كانت كل مبادرة عدوانية من احد الجانبين تقابل بموقف اشد عنفاً وأكثر تشدداً وصلابة من الجانب الآخر، الأمر الذي أفرز مزيد من العدوان بين الطرفين، ولذلك فإن الحرب الباردة لا يمكن

النظر إليها على أنها مجرد ردود أفعال من احد الطرفين ضد اعتداءات الطرف الآخر، بل هي صراع ناشئ عن الخوف والحذر المتبادلين بين الطرفين في تفسير أفعال الجانب الآخر، فكل طرف يرى أن الطرف الآخر معتد وأنه يمضي قدما في التسلح من أجل إبادة الطرف الآخر، فلم ينس السوفيت التدخل العسكري المسلح ضد الثورة البلشفية في نهاية الحرب العالمية الأولى بهدف إسقاطها، كما أن السوفيت كانوا شديدي الحساسية بسبب رفض الولايات المتحدة الاعتراف بالنظام السوفيتي دبلوماسيا، وهو الاعتراف الذي تأخر إلى سنة ١٩٣٣م، وأخيرا عدم الإفصاح للحليف السوفيتي عن قرار استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان أثار شكوك السوفيت في نيات الولايات المتحدة.

أما بالنسبة للأمريكيين فإن عداوتهم للاتحاد السوفيتي من وجه نظرهم نابعة من رفض السوفيت تقديم مساعدة في مشروعات التعمير في المناطق الواقعة تحت السيطرة الغربية، كما أنهم حرصوا على الاحتفاظ بقوة مسلحة كبيرة في شرق أوروبا بعد انتهاء الحرب دون مبرر وعدم سحب الجيش الأحمر من أوروبا الوسطى والشرقية، ودعم الأحزاب الشيوعية بها.

وقد ساهم في حالة اللاسلم واللاحرب في أعقاب الحرب العالمية الثانية أنه لم يكن هناك خط أيديولوجي فاصل بين المتحاربين، فقد ضمت جبهة الحلفاء صديقين لدودين هما الرأسماليين والشيوعيين، فجمع العداء للنازية والفاشية بين المعسكرين اللدودين، ولم يحاول زعماء الدول الثلاث الكبرى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وضع تصور للنظام الدولي والعلاقات السياسية الدولية بعد الحرب باستثناء ما كانوا يخططون له من إقامة منظمة دولية تحل محل العصبة للمحافظة على الأمن والسلم. وقد حاول رئيس الوزراء البريطاني تشرشل منذ عام ١٩٤٣ أن يثير حذر الأمريكيين من احتمال قيام الاتحاد السوفيتي بفرض نفوذه على أوروبا الشرقية. وما إن انتهت الحرب تماما حتى أدت الانتصارات التي حققها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي إلى تدعيم مركزهما وتعزيز مكانتهما كقوتين عظميين وانعقدت لهما بذلك مقاليد السيطرة على العالم، وكانت الحرب العالمية الثانية قد أدت إلى إضعاف القوى

الاستعمارية التقليدية، وانتقال مراكز القوى من لندن وباريس إلى موسكو وواشنطن. لقد تميزت العلاقات الأمريكية السوفيتية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بالتوتر الشديد والصراع المحتدم، وقد استنزف هذا الصراع طاقات كل من العملاقين والقوى المرتبطة بهما. وإذا انتقلنا إلى الممارسات العملية في الحرب الباردة فقد ظهرت لدى الغرب نظريات سياسية بعد الحرب العالمية الثانية تهدف إلى الحيلولة دون انتشار الفكر الشيوعي في العالم، من هذه النظريات:

❖ سياسة الاحتواء ورد الفعل السوفيتي:

وقد صاغ إطارها العام وبلوره الدبلوماسي الأمريكي جورج كينان، وتم دعم وتنفيذ هذه النظرية من قبل حكومة الرئيس الأمريكي ترومان، وقد بنيت نظرية الاحتواء على تحليل أهداف الإستراتيجية السوفيتية، وتعيين الطريقة التي كان ينظر بها السوفييت الى الغرب الرأسمالي. وقد بلغت الحرب الباردة ذروتها بإعلان الرئيس الأمريكي ترومان التزامه بتنفيذ سياسة الاحتواء لتكون حجر الزاوية للسياسة الخارجية الأمريكية وتعاملها مع السوفييت، وكان الزعيم السوفيتي ستالين قد أكد في فبراير ١٩٤٦ حتمية الصراع مع القوى الرأسمالية، وطالب شعبه باليقظة وعدم الاستكانة، قائلاً إن انتهاء الحرب لا يعني استرخاء الأمة. وقد بني الغرب سياسة الاحتواء على أساس أن السياسة الدولية هي صراع أو سباق من أجل الهيمنة والسيطرة على العالم، وأن الاتحاد السوفيتي هو قوة امبريالية تسعى الى قهر العالم والهيمنة عليه، وانطلاقاً من هذا الفهم يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقدم الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري في حالة أي تهديد موجه لأي حكومة غير شيوعية دبلوماسياً واقتصادياً وعسكرياً.

استغلت الولايات المتحدة الاضطرابات الداخلية في تركيا والحرب الأهلية في اليونان عام ١٩٤٧ للتطبيق العملي لسياسة الاحتواء، على اعتبار أن هذه الاضطرابات تمت بتدبير شيوعي، الأمر الذي أدى بالرئيس الأمريكي ترومان أن يطلب من مجلس الكونجرس الأمريكي الموافقة على مد اليونان وتركيا بمساعدات قدرها ٤٠٠ مليون دولار، فقال ترومان يجب ان تتجه سياسة الولايات المتحدة الى مساعدة الشعوب الحرة التي تناضل ضد التدخلات الأجنبية. لذا عرفت هذه

السياسة بسياسة الاحتواء أو مبدأ ترومان، ويعني هذا المبدأ مساندة أي نظام يقف ضد الشيوعية حتى ولو كان ديكتاتوري. وقد عمق هذا الإعلان الأمريكي من الخلافات السوفيتية الأمريكية.

وبعد أشهر قليلة أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن مشروع مارشال الذي يتلخص في وجوب مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لأوروبا الغربية قبل انهيار اقتصادها، لتتمكن الدول الأوروبية من التعاون فيما بينها لحل مشكلاتها الاقتصادية الناجمة عن الخلل الذي أحدثته الحرب العالمية الثانية. وقدرت تكاليف مشروع مارشال بنحو ٢٢ بليون دولار أمريكي، وهو مبلغ عظيم آنذاك غير أن المسائل المتعلقة بالأمن القومي لا تأبه بحجم المصروفات، ومن المعروف أن أمن أوروبا الغربية هو أمن الولايات المتحدة، حيث يجمعها حلف شمال الأطلسي، وشيء طبيعي أن تسعى الولايات المتحدة إلى تقوية خط المواجهة الأول مع الشيوعية وذلك بدعم النظم الرأسمالية في أوروبا الغربية، والقضاء علي أسباب التباغض والتحاسد فيما بينهم، وهو ما لا يتحقق إلا في ظل الوحدة الأوروبية بغض النظر عن الآثار السلبية لهذه الوحدة علي الاقتصاد الأمريكي. وفي مؤتمر باريس أقرت ١٧ دولة أوروبية خطة مارشال بإنشاء منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي Economic Co-Operation Organization of Europe (OEEC) وقد اتفقت الدول الأعضاء علي سياسة موجهة في استخدام الموارد المتاحة في الدول الأعضاء وإزالة العقبات التي تعترض حركة التبادل التجاري سواء منها ما يتعلق بالرسوم أو قيود الملكية، وكذلك تسهيل مرور الأفراد بين دول المنظمة.

ولم يستثن مارشال من الدعوة لهذا المشروع حتى دول أوروبا الشرقية، الأمر الذي أدى إلى استياء الاتحاد السوفيتي التي عبرت عن ان هذا المشروع لا يمكن أن يكون إلا نوعاً من الاستعمار الجديد، أي أستعمار الدولار الأمريكي لغرب أوروبا، ويهدف مشروع مارشال في الأساس إلى:

١. القضاء على الأوضاع الاقتصادية والمعيشية المتدهورة في أوروبا
٢. احتواء الحركات الراديكالية والثورية التي تسعى لإقامة حكومات اشتراكية متعاطفة مع الاتحاد السوفيتي

٣. ربط أوروبا الغربية بالاقتصاد الأمريكي وتمهيد تغلغل الشركات

الأمريكية الاقتصادية في الأسواق الأوروبية

وبذلك اتسع الخلاف بين الشرق والغرب، وفي خريف عام ١٩٤٧ أعلن الاتحاد السوفيتي عن تأسيس منظمة أطلق عليها الكومنفرم (مكتب الإعلام الشيوعي) بهدف توثيق علاقة الاتحاد السوفيتي مع دول شرقي أوروبا واستقلالها استقلالاً تاماً عن الغرب، لقد تأسست هذه المنظمة على ضوء قرارات مؤتمر موسكو الذي عقد في سبتمبر ١٩٤٧ والذي حضره ممثلو تسعة أحزاب شيوعية هي الحزب السوفيتي، البولوني، الروماني، البلغاري، المجري، التشيكوسلوفاكي، واليوغسلافي، بالإضافة إلى الحزب الشيوعي الإيطالي والفرنسي، وبعد هذا المؤتمر تخلت الأحزاب الشيوعية في غرب أوروبا عن سياسة المهادنة والاعتدال تجاه حكوماتهم، فانتشرت الإضرابات والمظاهرات والعصيان المدني في أوروبا الشرق الأقصى، ولجأت بعض الأحزاب الشيوعية الآسيوية إلى انتهاج سياسة الكفاح المسلح فانقلبت الحرب الباردة إلى حرب ساخنة في كثير من مناطق العالم.

ويحلول عام ١٩٤٩ تأكدت الحرب الباردة بتأسيس الدول الغربية أول خطوة لها لوضع منظومة الدفاع ضد الشيوعية بتأسيس حلف شمال الأطلسي^(٢٢) الذي ضم الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولكسمبورغ والنرويج والدانمارك وايسلندا وإيطاليا والبرتغال، وهو أول منظمة عسكرية صريحة موجهة ضد الاتحاد السوفيتي، فالدول الأعضاء كلها تنتمي للنظام الرأسمالي، ونصت المادة الرابعة من ميثاق حلف شمال الأطلسي على أن تتشاور الدول الأطراف كلما بدا لإحداها أن سلامة أراضيها أو استقلالها السياسي أو أمنها عرضة للخطر، ويدخل في التهديد بالخطر اقتراب أي حزب ذات توجه شيوعي أو اشتراكي من السلطة.

(٢٢) بدأ الحلف ١٩٤٩ بعضوية الولايات المتحدة، فرنسا، هولندا، بلجيكا، لوكسمبرج، النرويج، الدانمارك، المملكة المتحدة، أيسلندا، البرتغال، إيطاليا، وكندا، وانضمت اليونان وتركيا ١٩٥٢، ثم ألمانيا ١٩٥٥، وفي عام ١٩٨٨ انضمت إسبانيا، وفي أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي في نهاية العقد الأخير من القرن العشرين توالى انضمام دول شرق أوروبا للحلف وهي جمهورية التشيك، بولندا، والمجر ١٩٩٩، ثم سلوفينيا، سلوفاكيا، ورومانيا، بلغاريا، ودول البلطيق الثلاث لتوانيا ولاتفيا وإستونيا في سنة ٢٠٠٤، وأخيراً ألبانيا وكرواتيا ٢٠٠٩

ويانتصار الشيوعيون في الحرب الاهلية الصينية في عام ١٩٤٩ تسربت الحرب الباردة الى أكبر التجمعات السكانية في آسيا، حيث ظهرت الصين الشيوعية في آسيا كمارد يهدد الإمبريالية الغربية في الشرق الأقصى، لتمثل أخطر مراحل الصراع بين الشرق والغرب، وتركز ميدان الحرب الباردة طوال خمسينيات القرن العشرين في الشرق الأقصى. وفي عقد السبعينيات انتقلت عدوى الحرب الباردة إلى مناطق متفرقة من أفريقيا وأمريكا اللاتينية إضافة إلى الشرق الأقصى وأوروبا، فشهدت هذه المناطق أزمات متنوعة شهدت صراعا مريرا بين المعسكرين، منها أزمة الكونغو، أزمة كوبا، والهند الصينية، ومع ذلك فقد كانت تظهر بين الحين والآخر محاولات جدية وخاصة من جانب الاتحاد السوفيتي، لاقامة نوع من التعايش السلمي بين المعسكرين.

ويعد ظهور دولة الصين الشيوعية اخطر حدث بالنسبة للدول الغربية التي عدت الوجود الشيوعي في تلك المنطقة الواسعة أمرا يهدد المصالح الحيوية والإستراتيجية الغربية عامة، والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص، لذا بدأت تترصد الولايات المتحدة بأحداث المنطقة، وهو ما تجلى في تطورت الأحداث في شهر يونيو ١٩٥٠ عندما اندلعت الحرب الكورية، ولحقتها تطورات الأحداث في فيتنام ١٩٥٤، التي حقق الشيوعيون فيها انتصارا كسر كبرياء الأمريكان.

ومع تصاعد حدة الصراع بين الشرق والغرب قررت الكتلة الشرقية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي تأسيس حلف يواجه حلف شمال الأطلسي في ١٤ ما يو ١٩٥٥، عرف بحلف وارسو، الذي جاء رد فعل سوفيتي لحلف شمال الاطلسي لاسيما بعد ضم ألمانيا الغربية إلى عضويته ١٩٥٥، فيما اعتبره السوفييت تهديدا للامن القومي السوفيتي، وقعت دول أوروبا الشرقية الشيوعية (٢٣) معاهدة تكونت بمقتضاها

(٢٣) حلف وارسو أو معاهدة وارسو (اسمها الرسمي معاهدة الصداقة والتعاون والمساعدة المشتركين) وهي منظمة عسكرية سابقة لدول أوروبا الوسطى والشرقية الشيوعية. أسست هذه المنظمة عام ١٩٥٥ م، والدول هي الاتحاد السوفيتي، ألبانيا، بلغاريا، ألمانيا الشرقية، بولندا، تشيكوسلوفاكيا، رومانيا، والمجر، وانسحبت ألبانيا في وقت مبكر سنة ١٩٦٨، استمرت المنظمة في عملها خلال فترة الحرب الباردة حتى سقوط الأنظمة

قيادتين سميت الأولى بالقيادة العسكرية الموحدة والثانية للجنة السياسية الاستشارية، جاء في المعاهدة: اتفقت جميع الأطراف على نبذ استخدام القوة في تسوية منازعاتها الدولية، وأكدت مبدأ التشاور المتبادل في حالة وقوع تهديد خارجي، وإذا كانت المادة التاسعة قد تركت الباب مفتوحاً لدخول أي دولة بصرف النظر عن طبيعة نظامها الاجتماعي أو السياسي، فإن المادة الرابعة تطبق معاهدة الحلف في النطاق الأوربي فقط.

❖ الحرب الكورية ١٩٥٠ - ١٩٥٣:

في ١٠ أغسطس ١٩٤٥ مثلت شبه الجزيرة الكورية المحطة الثانية للصراع بين الشرق والغرب بعد ألمانيا، لكنها كانت أشد سخونة؛ كانت كوريا محتلة من قبل اليابان منذ عام ١٩١٠، فمع قرب استسلام اليابان قام كلا من الكولونيل دين راسك وبونستيل برسم الخط الفاصل بين القوات الأمريكية والسوفيتية عند خط عرض ٣٨ شمالاً. وطبقاً لهذا التقسيم يقوم اليابانيون شمال هذا الخط بالاستسلام للاتحاد السوفيتي وفي الجنوب للقوات الأمريكية، وهكذا ودون استشارة الكوريين تقاسمت القوتان العظمتان شبه جزيرة كوريا لتتحول إلى منطقتي احتلال واضعين الأساس لحرب أهلية لا مناص منها ورغم أن السياسات والأفعال التي تمت قد ساهمت في ترسيخ الانقسام كان أول قرار اتخذه الأمريكيون هو إعادة عدد كبير من الإداريين اليابانيين ومساعدتهم الكوريين الذين كانوا في السلطة أثناء الفترة الاستعمارية كما رفضت الإدارة الأمريكية الاعتراف بالتنظيمات السياسية التي أنشأها الشعب الكوري، وقد أدت هذه الإجراءات غير الشعبية بالنسبة للكوريين الذين عانوا من الاضطهاد الياباني إلى عدد من الانتفاضات والاحتجاجات الشعبية والعمالية.

اتفق الجانبان الأمريكي والسوفيتي في ديسمبر ١٩٤٥ على إدارة البلاد بما وصف باللجنة الأمريكية السوفيتية المشتركة التي وضعها اجتماع موسكو لوزراء الخارجية، على أساس انه بمرور ٤ سنوات من

الشيوعية الأوروبية وتفكك الاتحاد السوفيتي (عام ١٩٩١ م) ووقتها بدأت الدول تتسحب منها واحدة تلو أخرى، وتم حل الحلف رسمياً في يوليو ١٩٩١ م.

الحكم الذاتي تحت الوصاية الدولية ستصبح البلاد حرة مستقلة، وبالرغم من أن كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد اتفقا على أن كل قسم سوف يحكم تحت قيادة الكوريين إلا أن كل قوة عملت على إقامة حكومة موالية لأيدلوجيتها السياسية وقد رفض غالبية الشعب الكوري لكثير من هذه الترتيبات مما ساعد على قيام سلسلة من التمردات الدموية في الجانب الشمالي وإضرابات في الجانب الجنوبي، سعت الحكومة العسكرية الأمريكية في الجنوب إلى منع الإضرابات في ٨ ديسمبر وأصدرت قرارا باعتبار الحكومة الثورية واللجان الشعبية خارجة عن القانون، وتطورت الأمور بسرعة فقد شن عمال سكك الحديد الكوريون في بوسان إضرابا في ٢٣ سبتمبر ١٩٤٦ سرعان ما مس معظم مدن الجنوب. في الأول من أكتوبر ١٩٤٦ قامت الشرطة بقمع الاحتجاجات الشعبية وقتلت ثلاثة طلبة وجرحت عدد آخر مما أدى إلى قيام انتفاضة دايجو حيث هاجم المتظاهرون مقرات الشرطة وقتلوا ٣٨ شرطيا. ومن المهم أن نذكر أن معظم أفراد الشرطة الذين كانوا آنذاك هم ممن عمل أثناء فترة الاحتلال الياباني. وقد جعل وقوف الأمريكيين إلى جانب هذه الفئة من الكوريين يرونهم كمحتل لا يختلف عن اليابان. في ٣ أكتوبر هجمت عدد من المتظاهرين (حوالي ١٠,٠٠٠) في بيونج شيون على مقر للشرطة وقتلوا ٤٠ شرطيا ورئيس المحافظة كما قتل في هجمات أخرى ٢٠ من ملاك الأراضي والمتعاونين السابقين مع اليابان ورد الأمريكيون بإعلان الأحكام العرفية مطلقين النار على جموع المتظاهرين لتقتل عددا غير محدود منهم.

وفي كوريا الجنوبية نجحت المخابرات الأمريكية في زرع مجموعة يمينية مناهضة للوصاية تعرف بالمجلس التمثيلي الديمقراطي عارضت الخضوع لاحتلال جديد بعد اليابان، مما دفع الولايات المتحدة إلى التخلي عن اتفاقيات موسكو ولم يرغب الأمريكان في وجود حكومة ذات ميول يسارية في كوريا فقامت بتغيير موقفها ودعت إلى انتخابات كورية، وحينئذ يقن السوفيت خسارة رجلهم في كوريا كيم ايل سونغ نظرا لأن سكان الجنوب ضعف سكان الشمال لذلك اجريت الانتخابات في الشطر الجنوبي فقط بدعم من الأمم المتحدة والولايات المتحدة حيث تم استبدال اللجنة السوفيتية الأمريكية المشتركة بلجنة مؤقتة تحت رعاية

الأمم المتحدة للإشراف على الانتخابات. سهلت القوات الأمريكية وصول العديد من الكوريين للسلطة كجزء من برنامج احتلالي بالرغم من أن الكثير من الكوريين كانوا ينظرون إليهم كخونة لشعبهم لتعاونهم مع اليابانيين فكانت النتيجة النهائية لنظام حكم يفتقد الدعم الكامل من غالبية المواطنين ويفتقد الشرعية ان قامت سلسلة من الشغب واجتاحت الإضرابات البلاد وتمردات شملت جزيرة جوجو ويوسو ومناطق أخرى ولقى أكثر من ١٠٠،٠٠٠ كوري جنوبي خلال هذه الفترة حتفهم كنتيجة لاستخدام القوة العسكرية التابعة للنظام والمدعومة من قبل القوات الأمريكية.

تنافس كلا من كيم ايل سونغ وريي على توحيد شبه الجزيرة الكورية مواصلين الهجمات العسكرية على طول الحدود خلال الفترة من ١٩٤٩ حتى أوائل ١٩٥٠، الأول مدفوعا من ستالين والثاني مدفوعا من الأمريكان، فشكلا كلاهما جيشا كان قوام جيش الشمال من الكوريين الذين خدموا في حرب تحرير الصين، لكن الشمال غير طبيعة الحرب من مجرد مناوشات على الحدود إلى حرب أهلية واسعة النطاق. بدأ جيش كوريا الشمالية هجومه المفاجئ قبل فجر يوم ٢٥ يونيو ١٩٥٠ بساعات مخترقين خط عرض ٣٨ تحت غطاء من القصف النيرانى الكثيف بواسطة المدفعية ومجهزين ب ٢٤٢ دبابة، و ١٨٠ طائرة حربية و ٧٠ قاذفة قنابل هجومية، في حين كان جيش كوريا الجنوبية ضعيف مقارنة بجيش كوريا الشمالية.

حقق هجوم كوريا الشمالية المخطط له جيدا ونفذه ١٣٥،٠٠٠ جندي نجاح مفاجئ وسريع فكادت أن تستسلم قوات أمريكا الجنوبية لولا تدخل القوي الاجنبية. كانت كوريا الجنوبية تمتلك جيش قوامه ٦٥،٠٠٠ جندي مسلح ومدرب ومجهز بواسطة الجيش الأمريكي ولكن كان يعاني نقص في المدرعات والمدفعية، لم يكن هناك أي وحدات قتالية اجنبية كبيرة بالبلاد عندما بدأت الحرب الاهلية ولكن كان يوجد قوات أمريكية كبيرة متمركزة في اليابان. اعتمدت الولايات المتحدة في حرب كوريا على قرار من الأمم المتحدة، مستغلة غياب الاتحاد السوفيتي المؤقت عن مجلس الامن بسبب إعطاء مقعد الصين لتيوان بدلا من الصين الشيوعية. قضى قرار مجلس الأمن بمساعدة كوريا

الجنوبية بقوة متعددة الجنسيات من ١٥ دولة تقودها الولايات المتحدة، واجه ترومان انتقادات حادة بسبب قرار الحرب في كوريا قبل موافقة الكونجرس. بدأت القوات المتحالفة بغارات جوية مكثفة على الطرق والجسور والكباري وخطوط السكك الحديدية فأصابته حركة إمداد جيش كوريا الشمالية بالشلل ثم بدأ الهجوم المضاد، فتمكن ماك آرثر من حصار جيش الشمال وإجباره على الانسحاب واسترد سول العاصمة واسترد كوريا الجنوبية حتى دائرة عرض ٣٨ شمالاً.

في أوائل أكتوبر ١٩٥٠ بدأ قوات الأمم المتحدة حرب هجومية في كوريا الشمالية بعد زيادة احتمال توحيد شبه الجزيرة الكورية أغرى قوات الأمم المتحدة للتقدم داخل كوريا الشمالية وبعد هذا نقطة حاسمة في سياسة الولايات المتحدة الخارجية عندما قرر القادة الأمريكيين الذهاب إلى ما هو أبعد من احتواء التهديدات الشيوعية المدركة إلى سياسة الرد الفعلي وكان من المغريات الأخرى لغزو كوريا الشمالية التأثير النفسي لتدمير دولة شيوعية. وبنهاية شهر أكتوبر كان جيش كوريا الشمالية ينهار فاستسلم ١٣٥،٠٠٠ أسير. اثار غزو الأمم المتحدة لكوريا الشمالية قلق الصين التي كان لديها اعتقاد بأن قوات الأمم المتحدة لن تقف عند حدود كوريا الشمالية بل ستمتد سياسة الرد إلى داخل الصين. وكان هذا الاعتقاد يؤمن به الجنرال ماك آرثر الذي تحجج بأن الصين تمد قوات كوريا الشمالية بالسلح والعتاد ورأى ضرورة امتداد الحرب إلى الصين إلا أن هاري ترومان وباقي القادة رفضوا ذلك وأمروا ماك آرثر بأن يكون شديد الحذر عند اقترابه من الحدود الصينية. وكانت الصين قد وضعت قواتها على أهبة الاستعداد على الحدود.

في يناير ١٩٥١ بدأت الصين وكوريا الشمالية المرحلة الثالثة من الحرب بمساعدات سوفيتية، واستخدم الصينيون تكتيك الهجمات الليلية على المواقع البعيدة عن المواجهة واستخدام الصفارات للتواصل بين الجنود والهجوم بأعداد كبيرة، لم تستطع قوات الأمم المتحدة مواجهتها مما دفعهم للانسحاب وإخلاء سيول لتقع في أيدي الشيوعيين يوم ٤ يناير واستمر انسحاب القوات الأمم المتحدة حتى مدينة سووان حيث تمكنوا من استعادة توازنهم وتثبيت دفاعاتهم في حين لم يتمكن الصينيون من التقدم نتيجة لنهاذ إمداداتهم مما اجبرهم على التراجع

لنقص الغذاء والذخيرة مما مكن قوات الأمم المتحدة من النقاط انفاسها والاعداد للهجوم المضاد والذي اعتمد على الاستخدام كافة الأسلحة الأرضية والجوية للاستفادة منها إلا أن الهجوم توقف عند شمال سيول، وظل الوضع عبارة عن هجوم وتراجع بين القوات المتحاربة لكن لم يتوقف القتال بين الاطراف حتى بعد بدء مفاوضات السلام نظرا لمحاولة كل طرف الاحتفاظ بأكبر رقعة أرض ممكنة وان انحصرت في معارك صغيرة حول بعض المدن. وانتهى القتال بتحديد منطقة منزوعة السلاح تفصل بين الكوريتين.

وقد بلغت الخسائر البشرية ما بين قتيل ومفقود وجريح نحو أربعة ملايين شخص، وكان ضحايا المدنيين ضعف ضحايا العسكريين. ويتوزع الضحايا كالتالي: كوريا: ١٤٧ ألف جندي كوري جنوبي قتيل و ٢١٠ آلاف جريح. ٣٠٠ ألف جندي كوري شمالي قتيل و ٢٢٠ ألف جريح. كما تجاوز عدد ضحايا المدنيين الكوريين مليوني قتيل. الولايات المتحدة: ١٥٧٥٣٠ ضحية مات منهم ٢٣٣٠٠ في ساحة المعارك. حلفاء الولايات المتحدة (الجيش الأممي) ١٦٥٣٢ ضحية منهم ٣٠٩٤ قتيلا. الصين: ٩٠٠ ألف ضحية منها ٢٠٠ ألف قتيل. ومنذ ٢٣ يونيو ١٩٥١ وبعد سنة من المعارك الحامية دخل الصراع الكوري حربا باردة بين طرفين لا غالب ولا مغلوب بينهما، فلا الأميركيون وحلفاؤهم دحروا المد الشيوعي في شبه الجزيرة ولا الشيوعيون الكوريون وحلفاؤهم الصينيون استطاعوا توحيد شطري كوريا تحت اللون الأحمر. وقد عرض ممثل الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة إلى وقف لإطلاق النار، ولم يتم التوصل إلى اتفاق بين الأمم المتحدة والصين إلا في ٢٧ يوليو ١٩٥٣، وعلى الرغم من انتهاء الحرب إلا أن النزاع الحدودي مازال مستمرا بين الطرفين حتى هذا اليوم.

❖ أزمة السويس ١٩٥٦:

وتعد حرب السويس ١٩٥٦ أحد محطات الحرب الباردة في منطقة الشرق الأوسط، فأدت الى توتر العلاقات الدولية بين المعسكرين، غير أنها لم تصل بالحرب الباردة إلى حالة تنذر بالخطر بسبب تدارك الولايات المتحدة للأمر، فتدخلت وطالبت المعتدين بالتراجع قبل أن يتفاقم الأمر، ويستغل الاتحاد السوفيتي القضية. وما ان جاء عام

١٩٦٠ حتى انتقلت الحرب الباردة الى كل من أفريقيا وأمريكا اللاتينية، ففي أفريقيا ظهرت دول حديثة العهد بالاستقلال، وعلى رأسها زعماء شاركوا في انتزاع استقلال بلادهم من يد المستعمر، ومنهم نكروما، سيكوتوري، لومومبا وغيرهم، الأمر الذي فتح للاتحاد السوفيتي آفاق التعاون مع هذه البلدان.

وقد ألفت الحرب الباردة بظلالها الكثيفة على دول العالم الثالث فمذ بداية الخمسينات أخذت تطالب بنظام عالمي جديد لتسوية الوضع الدولي في تلك الفترة، كما صدر في تلك المدة نفسها عدة توصيات وقرارات عن حركة عدم الانحياز تطالب النظام الدولي بالتغيير والتطوير السلمي وتوسيع قاعدة الشراكة الدولية، فلم تستسغ دول عدم الانحياز انقسام العالم بين قطبين، فرأت أن هذا الاستقطاب يؤدي بالعالم إلى حرب عالمية ثالثة كأمر حتمي.

لعبت مصر بموقعها الجغرافي دورا مهما في توازن القوى بين الشرق والغرب في ظل الحرب الباردة، وقد تنازعتها القوتان، فأبى عبد الناصر إلا طريقا ثالثا هو طريق عدم الانحياز لطرف على حساب طرف آخر، لكن هل نجحت هذه السياسة؟ وبمعنى آخر هل نجح عبد الناصر أن ينأى بنفسه عن الحرب الباردة أو في عدم الانحياز؟ لقد بدأ الصراع في العصر الملكي فحاولت الولايات المتحدة جذب مصر إلى حلف شمال الأطلسي لتكون قواعد بديلة عن القواعد البريطانية في منطقة القناة، لكن البرلمان المصري رفض، بما يؤكد أن رغبة مصر في عدم الانحياز لم تكن وليدة عصر عبد الناصر كما صورها البعض.

تلكأت بريطانيا في الخروج من منطقة القناة لكنها اضطرت في النهاية أن ترضخ لتوقيع اتفاقية الجلاء في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ تحت ضربات المقاومة التي طالت معسكراتها وجنودها في منطقة القناة وكبدتها خسائر فادحة، خرجت بريطانيا بعد أن حصلت - بمقتضى المادة الرابعة التي سمحت لبريطانيا باستخدام المواني والمطارات المصرية في حال تعرض حلفائها في المنطقة للاعتداء، وباركت الولايات المتحدة الاتفاق وساعدت عليه بعد أن لوحث لعبد الناصر

بمساعات عسكرية، واعتبرها عبد الناصر نصرا له بعد أن نقش اسمه على وثيقة تنهي الاحتلال البريطاني.^(٢٤)

في ٢٠ فبراير ١٩٥٥ زار إيدن^(٢٥) رئيس وزراء بريطانيا القاهرة لأول - وآخر - مرة في حياته، وتقابل مع عبد الناصر، كان الهدف المعلن من الزيارة تبادل التهاني بمناسبة اتفاقية الجلاء، لكن إيدن كان يرمي من وراء الزيارة إلى بحث تعاون مصر مع بريطانيا في منظومة الدفاع الغربي بالشرق الأوسط، لكن مصر أبدت رفضها الانخراط في منظومة عسكرية مع الغرب، فاستحال التقارب المصري البريطاني إلى عدم ثقة، ونجحت بريطانيا مع بغداد فيما فشلت فيه مع القاهرة، فانقسم العالم العربي بين القاهرة وبغداد.^(٢٦)

لم تكنف بريطانيا والغرب من مصر بالاتفاقية، وإنما حاولوا دمجها في الأحلاف الغربية، حيث أقيم حائط صد سياسي ضد الاتحاد السوفيتي تمثل في حلف شمال الأطلسي (NATO) وحلف جنوب شرق آسيا (SEATO) الذي تأسس في ٨ سبتمبر ١٩٥٤ وضم معظم دول جنوب شرق آسيا استراليا، نيوزيلاندا، الفلبين، تايلاند، وبنجلاديش، وصولا إلى باكستان، وانضمت إليهم الولايات المتحدة. وحلف بغداد الذي وقع في ٢٤ فبراير ١٩٥٥ ليضم إيران، العراق، وتركيا، وانضمت إليهم وبريطانيا، لمنع تسلل الشيوعية إلى ما وراء هذا الخط. لكن عبد الناصر رفض الانخراط في هذا الحلف، وبدأ يكون جبهة عربية ضد عراق نوري السعيد الذي بدا بدوره يمارس سياسة الضغط على الأردن ولبنان للانضمام للحلف، وفشلت جهود بريطانيا والغرب في إقناع عبد

(٢٤) لطيفة سالم، أزمة السويس، جذور. أحداث. نتائج، ١٩٥٤ - ١٩٥٧ (مكتبة

مديولي، القاهرة، ١٩٩٦) ص ٩ - ١١

(٢٥) وصل إيدن إلى الحكم عن طريق الخبرة البرلمانية مع حزب المحافظين، التي بدأها منذ عام ١٩٢٣، فقد حقق طموحاته في الوصول إلى الخارجية عن طريق البرلمان لا عن طريق الدبلوماسية، وعندما نجح حزبه في انتخابات ١٩٥٥ شكل إيدن الوزارة. راجع:

James, R. Rhodes, Anthony Eden and the Suez Crisis , *History today*, Nov. 1986, Vol. 36, No.11, p. 10

(26) Lucas W. Scott, *Divided we stand Britain, the US and the Suez Crisis*, (Hodder & Stoughton, London, 1991) p. 40

الناصر بالانضمام للحلف الجديد أو تهدئة الأمور مع نوري السعيد.
(٢٧)

ومع إصرار عبد الناصر على محاربة حلف بغداد وتحدي سياسة الأحلاف الغربية ماطلت الولايات المتحدة في تزويد مصر بما تحتاجه من أسلحة، فكانت صفقة الأسلحة التشيكية التي أعلن عنها عبد الناصر رسمياً في ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ والتي قال عنها عبد الناصر " إنني أخطرت واشنطن في شهر يوليو بأنني سأشتري أسلحة من روسيا إذا لم تزودني أمريكا بالأسلحة، ولكنهم لم يكثرثوا لذلك؛ إذ اعتقدوا أنها مجرد مناورة، ولكني لم أكن أناور. ولقد كنت أحتاج إلى الأسلحة، ولم يكن أمامي حل سوى أن أسلح بلادي من أي مكان. وأنا أعلم أن إسرائيل قد تعاقبت على استلام أسلحة في العشرة أشهر القادمة، وأنا لا أفكر في جيش إسرائيل اليوم، ولكن أفكر فيما سيكون في الغد، فمثلاً تستلم إسرائيل الآن ١٠٠ دبابة خفيفة، وقد كانت فرنسا قد وعدت أن تبيع لنا هذه الكمية ولكنها أوقفت الشحن، وهناك ما هو أسوأ من هذا، هو أن الشحنة التي كانت مخصصة لنا تتجه الآن نحو إسرائيل. إنني قد بحثت عن طائرات تماثل النفاثات الأمريكية المزودة بمدافع عيار ١٥٠ ملمتراً، ودبابات تستطيع الوقوف أمام الوحدات الإسرائيلية المصفحة." (٢٨)

وقد فتحت صفقة الأسلحة للاتحاد السوفيتي الطريق ليقفز فوق الحواجز التي اصطنعتها الأحلاف الغربية ليصل إلى منطقة الشرق الأوسط من أكبر بواباته، وإن حاول عبد الناصر أن يشكل مع تيتو ونهرو مجموعة دول عدم الانحياز، كما حاول أن يضم أطرافاً عربية إلى دول عدم الانحياز وبدا بالسعودية فتقارب معها نتيجة لحلف بغداد وأزمة "واحة البريمي" التي احتلتها القوات البريطانية وحاولت ضمها إلى إمارات الساحل في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٥، وكذا سوريا بعد وصول شكري القوتلي للسلطة على حساب خالد العظم الذي كانت تؤيده بريطانيا والعراق.

(٢٧) محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، حرب الثلاثين سنة (مركز الهرام للترجمة

والنشر، القاهرة، ١٩٨٦) ص ص ٣٣٢ - ٣٣٦

(28) New York Times, 6th Dec. 1955

وعلى الرغم من إيمان الغرب بأن الطريق الأمثل للتعاون المصري مع الغرب وحل قضية الصراع مع إسرائيل يكمن في المساهمة في بناء السد العالي، وكان أمام الغرب فرصة تاريخية لقطع الطريق على الدب الروسي الذي يحاول القفز إلى الشرق الأوسط، لاسيما أن عبد الناصر كان ميالا لتمويل الغرب للمشروع، إلا أن الولايات المتحدة ماطلت في هذا المطلب الحيوي لمصر فاضطرت إلى الارتقاء في أحضان الاتحاد السوفيتي البديل الاستراتيجي في مسألة تمويل السد، لاسيما بعد نجاح فكرة التسلح من المعسكر الشرقي، بدأت الفكرة عقب عودة عبد الناصر من مؤتمر باندونج حيث التقى صلاح سالم بالسفير السوفيتي في القاهرة، وطرح السفير السوفيتي تمويل سد جديد يقام على النيل في أسوان حفاظا على مياه النيل وتوليد الطاقة الكهربائية^(٢٩).

تمثل رد فعل عبد الناصر المباشر على رفض البنك الدولي والولايات المتحدة تمويل السد هو تأمين قناة السويس، وفكرة التأمين لم تكن بدعا من أفكار عبد الناصر وإنما سبقه مصدق في تأمين شركات البترول في إيران، كما أن امتياز القناة كان سينتهي بعد ١٢ سنة. أضفى عبد الناصر على مسألة التأمين طابعا بطوليا بالسرية والمفاجأة في القرار، في خطابه في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ وركز على مسألة تمويل السد وربط بين يوجين بلاك مسئول البنك الدولي ودليسيبس، وكان الاسم الأخير هو الاسم الحركي لعملية التأمين، ونجحت الخبرات المصرية في إدارة القناة بدلا من الكوادر الأجنبية. استشاط الغرب غضبا فجمدت بريطانيا والولايات المتحدة أرصدة مصر في بنوكها وقررت بريطانيا تجميد ودائع الشركة من الذهب وغيره وعدم تسليمه لمصر، ولم تفلح الجهود المصرية في الإفراج عن هذه المبالغ والأرصدة، في محاولة للضغط على عبد الناصر لتدويل القناة. ومقابل الاتهام الغربي لمصر بخرق القانون الدولي وقفت موسكو إلى جانب مصر وأعلنت دعمها لعبد الناصر وأن التأمين حق من حقوق مصر في القناة التي تجري

(٢٩) أنتوني ناتنج، ناصر، ت: شاكرا سعيد (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣) ص

ص ١٢٣-١٦٧

وصلاح بيسيوني، مصر وأزمة السويس (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠) ص ص ٢٣-

على أرضه، وإن وقف تيتو ونهرو ريفيقي عبد الناصر موقفاً حذراً من مسألة التأميم وطالبا عبد الناصر بالهدوء في مواجهة الدبلوماسية الغربية التي تهدف إلى تدويل القناة. (٣٠)

مع فشل فكرة التدويل فكرت بريطانيا وفرنسا ومعهما اليد الطولى المستحدثة للحتل الغربي في المنطقة (إسرائيل) (٣١) لاحتلال منطقة قناة السويس، وبدأ الإعداد للحرب بتحركات بحرية وبرية وجوية للدول الثلاث في البحرين المتوسط والأحمر، كما بدأت التهيئة السياسية في الغرب، وعلى الجانب المصري تقدمت مصر بشكوى لمجلس الأمن وهددت بمساعدة العالم العربي للتخلص من الاستعمار خاصة في الجزائر. وفي ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ بدأت إسرائيل بالعدوان على سيناء وتقدمت في عمقها وفقاً للخطة، وجهت بريطانيا وفرنسا إنذاراً لمصر وإسرائيل بوقف الحرب والإلتزام بخط إطلاق النار، لكن كانت إسرائيل على مسافة مائتي كيلو متر من القناة وكان المخطط أن يصدر الإنذار وإسرائيل على الضفة الشرقية للقناة. قبلت إسرائيل الإنذار وفقاً للخطة ولم تقبله مصر وتوجهت إلى الأمم المتحدة، وحاولت الولايات المتحدة إثراء الأطراف المتعدية دون جدوى وهي تعلم تماماً أن الحل العسكري سيقوي من الوجود السوفيتي في مصر، بدأت بريطانيا وفرنسا بضرب مصر جواً وبحراً على الرغم من صدور قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار، طالت الضربات الفرنسية والبريطانية مدن القناة ومطار القاهرة المدني وبعض المواقع العسكرية، وبعد فترة من الصمت وجه بولجانين إنذاراً سوفيتياً إلى الدول المعتدية باستخدام الصواريخ بعيدة المدى إذا لم يتوقف العدوان، عندئذ رضخت الدول المعتدية للمطالب

(٣٠) لطيفة سالم، مرجع سابق، ص ص ١٥٠ - ١٦٠

(٣١) وكانت مصر قد اتخذت قراراً منذ إعلان قيام دولة الكيان الصهيوني بمنعها من المرور في قناة السويس، فتقدمت إسرائيل بشكوى إلى مجلس الأمن في هذا الصدد، ونجحت الولايات المتحدة في تمرير قرار يؤيد حق إسرائيل في استخدام قناة السويس في سبتمبر ١٩٥١م، لكن رفضت مصر تنفيذ القرار على اعتبار أنها في حالة حرب مع إسرائيل، ثم تكرر طلب إسرائيل مرة أخرى في ربيع ١٩٥٤ مصحوباً بشكوى عدم تنفيذ قرار مجلس الأمن السابق، لكن الاتحاد السوفيتي - الساعي إلى فتح ميدان له في الشرق الأوسط - استخدم حق الاعتراض [فيتو] ضد القرار. راجع:

محمود فوزي، حرب السويس ١٩٥٦، ت: مختار الجمال (دار الشروق، القاهرة) ص ص ٥٢ - ٥٣

الأمريكية بوقف إطلاق النار وبدأ الانسحاب، بعد أن خربت إسرائيل كل شيء في سيناء، بما في ذلك الطرق فجرفتها بالجرافات وهدمت المباني.^(٣٢)

ومما سبق يتضح أن أزمة ١٩٥٦ كادت تتسبب في هزيمة عسكرية قاسية لمصر، على الرغم من التلاحم الشعبي مع القوات المسلحة والجهود التي بذلها الجيش والشعب، لكن الآلة العسكرية للخصوم الثلاث كانت كبيرة جدا، ولولا توازنات الحرب الباردة التي أدت إلى انتصار سياسي لمصر لوقعت كارثة لمصر التي خرجت لتوها من الاحتلال الإنجليزي.

❖ أزمة الصواريخ الكوبية ١٩٦٢:

أما صراع الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الذي بدأ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وشمل الصراع كافة أنواع الأسلحة لاسيما الأسلحة الحديثة غير التقليدية ومنها الأسلحة النووية (قنابل وقاذفات قنابل وصواريخ تحمل ورؤوسا نووية) وصل في عام ١٩٦٢ ما كانت تملكه الولايات المتحدة من القنابل والرؤوس الحربية أكثر بثماني مرات مما يملكه الاتحاد السوفيتي، فبينما تملك الولايات المتحدة ٢٧،٢٩٧ قنبلة ورؤوسا نووية كان الاتحاد السوفيتي يملك ٣،٣٣٢ قنبلة ورؤوسا نووية.

وكان كل فريق حريص على معرفة ما وصل إليه الفريق الآخر من تقدم في هذا الصدد تم ألقاء القبض على (أوليغ بنكوفسكي) العقيد بالمخابرات السوفيتية العامة في اليوم الأول من الأزمة، وهو جاسوس لبريطانيا وأمريكا، والذي قال خلال وقائع محاكمته في ابريل ١٩٦٣ بأنه سلم ٥،٠٠٠ علبة أفلام من المعلومات عن التقنية السوفيتية، هذا عدا سكره مع عملاء المخابرات الغربيين خلال رحلاته العديدة لأوروبا الغربية". وقد استنتج السوفييت بأن الأمريكان قد استحوذوا على معلومات حاسمة جدا عن أسلحتهم واستخباراتهم، لذلك فالاتحاد السوفيتي لم يعد يثق بقدرة درعه النووي.

(٣٢) محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، ص ص ٥٥٠ - ٥٦٦

قد لا تتناسب مقدره السوفييت بالتعامل مع قاذفات القنابل الأمريكية ولكنهم استعاضوا عنها بالصواريخ. وبعد إطلاق القمر الصناعي السوفييتي سبوتنك، انتقل الأمريكان من قاذفات القنابل إلى صناعة الصواريخ التي لم يكن لها أولوية للاهتمام، فطوروا الصواريخ العابرة للقارات المسماة اختصاراً (ICBMs). المحاكاة الحاسوبية للعالم جون فون نيومان ساعدت الصواريخ الأمريكية والرؤوس النووية الخفيفة والاقتصادية، فالصاروخ السوفييتي الثقيل سميوركا R-7 Semyorka (٢٧٦ طن) ينقل رأساً حريبياً (٣طن) أي ٣ ميغاطن مسافة ٥,٨٠٠ ميل (٩,٣٣٠ كم)، بالمقابل الصاروخ الأمريكي أطلس Atlas وزنه (١٣٠ طناً) ينقل رأساً حريبياً (١,٥ طن) أي ٣,٨ ميغاطن مسافة ١١,٥٠٠ ميل (١٨,٥١٠ كم).

وخلال كارثة نيديلين (Nedelin catastrophe) ٢٤ أكتوبر ١٩٦٠ قتل العديد من علماء الصواريخ السوفييت مما تسبب في تعطيل مشروع الصواريخ البالستية R-16 لمدة سنة. وخلال أزمة الصواريخ الكوبية لم يكن للروس من صواريخ إلا أربعة من R-7 وعدد محدود من R-16 منتشرة في منصات سطحية مكشوفة وسهلة التعرض لهجوم، بينما يمتلك الأمريكان ١٤٢ من أطلس و٦٢ من صواريخ تيتان Titan-I البالستية، أغلبها مثبت بصوامع تحت الأرض. علاوة على ذلك، ففي يوليو ١٩٦٠، صار بإمكان الولايات المتحدة إطلاق صواريخ بولاريس عابرة القارات (٣٣) لمسافة ١٠,٠٠٠ ميل (١٦,٠٠٠ كم) من غواصاتها المنتشرة بالبحار، بينما إسطول الغواصات السوفييتي لديه

(٣) الصواريخ عابرة القارات (intercontinental ballistic missile أو ICBM) هي صواريخ بعيدة المدى (أي أن مداها أكبر من ٥,٥٠٠ كم أو ٣,٥٠٠ ميل) صممت أساساً لنقل الأسلحة النووية لإصابة أهدافها، حيث قد يحمل الصاروخ النووي رأس نووي واحد أو أكثر. وتختلف الصواريخ عابرة القارات بمدىها الأكبر عن باقي الصواريخ متوسطة المدى وصغيرة المدى، وتوجد هذه الصواريخ بروسيا، الولايات المتحدة، الصين والهند وكوريا الشمالية التي تقوم مؤخراً بتطوير الصواريخ بعيدة المدى بعد نجاحها في تجربة الصواريخ قصيرة المدى. بعض الأجهزة المخبرانية تشك في قيام كوريا الشمالية بتطوير مثل هذه الصواريخ. في عام ١٩٩١م اتفقت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على تقليل نسبة الصواريخ عابرة القارات لدى كل منهما والصاروخ له محركان الأول الانطلاقه من اليابسة والثاني عند نزول الصاروخ فيصبح أكثر فعالية مع الجاذبية فيصيب دماراً أكثر.

حوالي ١٠٠ من الصواريخ العابرة V1 والتي لاتطلق إلا عند خروج الغواصة إلى السطح مما يفقدها خاصية الاختفاء أو الغمر تحت الماء. خلال حملة الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام ١٩٦٠ أبلغ ألان دالاس رئيس CIA كلا من جون كنيدي ونائبه ليندون جونسون على القدرة النووية للاتحاد السوفييتي المسماة بالغطاء الصاروخي "وقد كانت قليلة الأهمية قبل أن يثيرها كنيدي خلال حملته الانتخابية". وفي عام ١٩٦١، حاول الرئيس السوفييتي نيكيتا خروتشوف خداع كنيدي ببرنامج قنبلة تسار ذات قوة ٥٠ ميغا طن، والذي يعتبر أعظم قوة نووية تفجيرية بالتاريخ، ثم استغل التحالف الكوبي السوفييتي الجديد لوضع صواريخ نووية ذات مدى يغطي جميع المدن الأمريكية.

وفي عام ١٩٦١ أيضا نشرت الولايات المتحدة ١٥ صاروخا من طراز جوبيتر بالستي متوسط المدى بمدينة أزمير التركية ومداهها ١٠،٥٠٠ ميل (٢،٤١٠ كم) مستهدفة المدن الغربية للاتحاد السوفييتي بما فيهم موسكو التي تبعد عنها ب ١٥ دقيقة ولكن كنيدي قلل من أهميتها الاستراتيجية نظرا لأن الغواصات التي تحوي الصواريخ البالستية تعطي نفس الدرجة من التهديد وعلى بعد قليل أيضا. وقد بادر خروتشوف بالتعبير عن غضبه واعتبر وجود الصواريخ بالأراضي التركية عدوانا شخسيا، لذلك فوجود الصواريخ الكوبية - وهي أول صواريخ توضع خارج الاتحاد السوفييتي- كانت ردة فعل على وجود الصواريخ النووية الأمريكية بالأراضي التركية.

في أعقاب عمليتين فاشلتين للولايات المتحدة لإسقاط النظام الكوبي (غزو خليج الخنازير و عملية النمس) شرعت حكومتا كوبا والاتحاد السوفييتي في بناء قواعد سرية لعدد من الصواريخ النووية متوسطة المدى (MRBMs و IRBMs) في كوبا، يمكنها ضرب معظم أراضي الولايات المتحدة. بدأ هذا العمل بعد نشر صواريخ ثور IRBM في بريطانيا ضمن مشروع إميلي سنة ١٩٥٨ ونشر صواريخ جوبيتر IRBM في إيطاليا وتركيا سنة ١٩٦١، حيث أصبح بهذا لدى أمريكا المقدرة على ضرب موسكو بأكثر من ١٠٠ صاروخ ذي رأس نووي. بدأت الأزمة في ٨ أكتوبر ١٩٦٢، ووصلت ذروتها في ١٤ أكتوبر عندما أظهرت صور استطلاع التقطت من طائرة التجسس الأمريكية

لوكهيد يو-٢ عن وجود قواعد صواريخ سوفيتية نووية تحت الإنشاء في كوبا، وعرفت أزمة الصواريخ الكوبية في روسيا بأزمة الكاربيبي أغسطس ١٩٦٢.

كان الجو السائد سياسيا وعسكريا لدى الكوبيين هو التخوف من عملية غزو أمريكي محتملة لكوبا، وأدى ذلك إلى التقارب السوفيتي الكوبي ومن ثم موافقة خروتشوف على تزويد كوبا بصواريخ أرض جو وأرض أرض في أبريل ١٩٦٢، وقد أتبع ذلك بقرار وضع صواريخ نووية - بسيطرة سوفيتية- في جزيرة كوبا في مايو ١٩٦٢، ولم ينقض شهر يوليو حتى كان هناك أكثر من ٦٠ سفينة سوفيتية وصلت كوبا محملة بالتجهيزات العسكرية.

أطلق على العملية في الاتحاد السوفيتي الاسم الرمزي " أنادير" نسبة لنهر أنادير الموجود بأقصى شرق سيبيريا، وهي عملية فائقة السرية لنشر الصواريخ الباليستية، والقاذفات متوسطة المدى وفوج من المشاة الميكانيكية في كوبا بهدف إنشاء قوة سوفيتية تكون قادرة على منع أي غزو عسكري أمريكي محتمل. وقد احتوت العملية على حملة خداع عسكرية واسعة لتضليل المخابرات الغربية، وذلك بإرسالها كمعدات قطبية للتدريب على الطقس البارد والمتجمد، والصواريخ الباليستية(٣٤) قد تم شحنها بواسطة سفن تجارية.

(٣٤) **الصاروخ الباليستي** (القوسي) هو صاروخ يتبع مسارا منحنيا (أو شبه مداري)، وهو مسار يتأثر بالجاذبية الأرضية والاحتكاك الهوائي، المسار المنحني يسبقه مسار تسارع ناتج عن محرك صاروخي يمنح الصاروخ الدفع المناسب للوصول إلى هدفه. وتعني كلمة " باليستية" قذافية - أما الصواريخ الأخرى (مضادة للدروع، للطائرات، للسفن،...) فنادرا ما يُطلق عليها هذا الاسم. **الصاروخ التكتيكي** (القوسي) يُستعمل لتوسيع الطاقة الهجومية للقوات المسلحة أكثر من تلك المسموح بها عن طريق المدفعية التقليدية. عادة ما يكون مداه في حدود بضع مئات الكيلومترات وهو مزود برأس تقليدية. **الصاروخ الاستراتيجي** هو سلاح عادة ما يُستعمل للردع، وهو مزود غالبا برأس غير تقليدية، خاصة السلاح النووي. هذا السلاح يخوّل الدول أن تهاجم حتى حين تكون قواتها المسلحة غير قادرة على ذلك، لأنّ هذا النوع من الصواريخ قادر على ضرب الأهداف دون التعرّض لخطر الاعتراض.

وقد كان المخطط لنشر ٦٠،٠٠٠ جندي وثلاث أفواج من صواريخ R-12 وفوجين من صواريخ يوسوفايا R-14. تم نقل بواسطة ٨٦ سفينة، وجرى عمل ١٨٠ رحلة من موانئ بالتيسك وليبيا وسيفاستوبول وفيودوسيا ونيكولايف وبوتي وميورمانسك. ما بين ١٧ يونيو و٢٢ أكتوبر تم نقل ٢٤ منصة إطلاق، و٤٢ من صواريخ R-12 بالإضافة إلى ٦ قطع للتدريب، و ٤٥ من الرؤوس النووية و٤٢ من قاذفات اليوشن وفوج من الطائرات المقاتلة (٤٠ طائرة ميغ ٢١)، وفرقتين من الدفاع الجوي السوفييتي، وأربعة أفواج مشاة ميكانيكية وغيرها من الوحدات العسكرية (قد يصل مجموعها ٤٧،٠٠٠ جندي).

أبلغت المخابرات الفرنسية مدير CIA جون ماكون خلال شهر عسله بباريس بأن السوفييت ينصبون صواريخ في كوبا. وقد أُنذر بدوره الرئيس كنيدي بأن بعض السفن السوفييتية تحمل تلك الصواريخ، ولكن كنيدي استنتج بعد نقاش مع كل من أخيه النائب العام روبرت كنيدي ووزير الخارجية دين راسك ووزير الدفاع روبرت ماكنمارا بأن السوفييت لن يفعلوا ذلك. وقد استلمت الحكومة الأمريكية رسائل نفي دبلوماسية متكررة من السوفييت بأنه لا توجد صواريخ سوفييتية في كوبا ولن يخططوا لوضعها هناك.

في أواخر أغسطس أظهرت صور لطائرات استطلاع مجموعة جديدة لمواقع مبنية من صواريخ سام، ولكن في ٤ أكتوبر ١٩٦٢ أبلغ كنيدي الكونغرس الأمريكي بأنه لا يوجد صواريخ هجومية في كوبا. وفي نفس اليوم قابل روبرت كنيدي السفير السوفييتي. وفي نفس المقابلة عبر عن قلق أمريكا حيال أي صواريخ نووية في كوبا. وقد طمأنه السفير الروسي بأنها دفاعية وأن الاستحکامات العسكرية هي ليست ذات أهمية. وبعدها بأيام أظهرت صور استطلاعية جوية مرة أخرى مباني وأحواض محصنة لغواصات مموهة بأنها قرية لصيادي أسماك. وفي ١١ سبتمبر قال السوفييت علنا بأنهم ليسوا بحاجة لوضع أسلحة نووية خارج الاتحاد السوفييتي بما فيهم كوبا. وبذات اليوم اتصل خروتشوف شخصيا بكنيدي وأبلغه بأنه لن توضع أي أسلحة هجومية في كوبا.

وصلت الدفعة الأولى من صواريخ SS-3 باليستية متوسطة المدى في مساء ٨ سبتمبر، وتبعها الدفعة الثانية بتاريخ ١٦ سبتمبر. وقد أتم السوفييت بناء ٩ مواقع لتلك الصواريخ، ٦ لصواريخ SS-4، وثلاث مواقع لصواريخ SS-5 ذات مدى ٢،٤٠٠ ميل (٣،٩٠٠ كم). الترسانة المخطط لها كانت ٤٠ منصة، ستزداد ٧٠ ٪ في حالة الضربة الأولى. ولاحظ السكان الكوبيون ذلك وأرسلوا مئات التقارير إلى ميامي، وقد اعتبرتها المخابرات الأمريكية انها مزيفة.

وفي الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٨ أكتوبر، قال الرئيس الكوبي إرفالدو دورتيكوس (١٩١٩-١٩٨٣) خلال خطابه: إذا تعرضنا لهجوم، سندافع عن أنفسنا. وسأقولها مرة أخرى، لدينا ما يكفي من الوسائل للدفاع عن أنفسنا، فلدينا أسلحة حاسمة، وإن كنا لا نفضل أن نحوز تلك الأسلحة أو استعمالها. هناك العديد من القضايا ليست بذات علاقة مع الصواريخ ولكنها لم تكتشف حتى يوم ١٤ أكتوبر، عندما أظهرت طائرات ال U-2 بناء لمواقع الصواريخ SS-4 بالقرب من سان كريستوبال بغيري كوبا.

إطلع كنيدي على الصور في ١٦ أكتوبر، فاجتمع مع اللجنة التنفيذية لمجلس الأمن الوطني، وهم ١٤ شخصا بالإضافة لأخيه روبرت، ولم يكن للحكومة أي خطة عمل للرد على مثل هذا التهديد، والسبب هو أن المخابرات الأمريكية كانت مقتنعة بأن السوفييت لن يضعوا أي صواريخ نووية في الأراضي الكوبية. وقد ناقشت تلك اللجنة خمسة بدائل قابلة للتنفيذ:

- ✓ ألا يفعلوا شيئا.
 - ✓ استعمال الضغوط الدبلوماسية لحث الاتحاد السوفييتي على إزالة صواريخه.
 - ✓ استخدام القصف الجوي لضرب الصواريخ.
 - ✓ غزو عسكري شامل.
 - ✓ حصار بحري لكوبا، وهو ما أعتمد استخدامه بحظر أكثر تشددا.
- وقد اتفق جميع الأعضاء بأن الحل الوحيد هو عمل هجوم واسع النطاق وغزو كوبا. واعتقدوا بأن السوفييت لن يحركوا ساكنا لوقف الغزو الأمريكي لكوبا، ولكن كنيدي اعترض قائلا: «هؤلاء أكثر منا

حرصاً، فلن يتركوا الأمور تمر بسلام بدون عمل شيء، ويعد كل ما فعلوه فهل يسمحوا لنا بأخذ صواريخهم وقتل خبراءهم ثم يتركونا دون فعل شيء؟ فإذا لم يفعلوا شيئاً بكوبا فبالأكيد سيفعلونها في برلين»
خلص كنيدي بأن الهجوم الجوي سيجعل السوفييت مقتنعين بأنهم أخذوا الضوء الأخضر لاحتلال برلين. بالإضافة إلى ذلك فإن حلفاء الولايات المتحدة سيكونون مقتنعين أيضاً بأنهم خسروا برلين لأن الولايات المتحدة لم تتمكن من وضع حل سلمي للقضية الكوبية.

قابل كنيدي في ١٨ أكتوبر وزير الخارجية السوفييتي أندريه جروميكو الذي شدد على أنه لا يوجد أسلحة هجومية في كوبا وأن الوجود السوفييتي هو فقط لإصلاح الأراضي والدفاع. ولكن كنيدي كان مطلعاً وبشكل واسع على القدرات السوفييتية عن طريق الجاسوس السوفييتي (أولج بنكوفسكي). وبالتحديد فهو على علم بأن السوفييت يمشون ببطء في تطوير صواريخ عابرة للقارات لذا سيستفيدون من وضع صواريخ في كوبا ذات مدى متوسط وهي (Sandal SS-4) حسب تسمية الناتو واسمها الحقيقي هو (R-12 Dvina) كمقابل لصواريخ PGM-19 Jupiter الموجودة بتركيا وإيطاليا وصواريخ PGM-17 Thor متوسطة المدى بالمملكة المتحدة. لكن توزيع الصواريخ عابرة القارات الأمريكية كان من التنظيم بحيث أن الصواريخ متوسطة المدى مهمة ولا تستخدم إلا كأوراق مساومة.

تمكنت طائرات U-2 التجسسية في ١٩ أكتوبر من تصوير ٤ مواقع عمليات. وقد أرسلت الفرقة المدرعة الأولى إلى ولاية جورجيا وتم رفع درجة التأهب في خمس فرق عسكرية إلى الدرجة القصوى. ووزعت القيادة الجوية الاستراتيجية (SAC) قاذفات القنابل B-47 قصيرة المدى على مطارات مدنية، وجعلت قاذفات القنابل بي-٥٢ تحلق عالياً وبشكل مستمر، وكليهما في حالة تأهب قصوى عند الهجوم، النقطة المهمة لطائرات B52 هي أنها غير معرضة لخطر الهجوم على قاعدتها. أما تشتيت طائرات B-47 فيجعل مهمة العدو الافتراضي صعبة جداً لكي يهاجم جميع المطارات التي تحتوي على قاذفات قنابل. أظهر اجتماع آخر للجنة التنفيذية لمجلس الأمن الوطني بأن عدد ضحايا الضربات الجوية سيكون ما بين ١٠٠,٠٠٠ إلى ٢٠٠,٠٠٠

شخص. وقد اكتشفت رحلة استطلاع أخرى قاذفات وصواريخ عابرة بالساحل الشمالي لكوبا، فأعطى كنيدي الأوامر بحصار كوبا، وعندما استفسر منه الإعلام عن طبيعة تلك الأسلحة الهجومية قال لهم بأنه حظر تلك التقارير إلى ما بعد خطابه للأمم، وقد أبلغ بريطانيا وباقي الحلفاء بنفس الليلة.

أكدت تقارير CIA باستمرار العمل في بناء قواعد الصواريخ في كوبا ولا يوجد هناك أي تخفيض في مستوى البناء. في صباح اليوم التالي، أبلغ كنيدي اللجنة التنفيذية بأنه بات متأكدا بأن إزالة الصواريخ من كوبا لن يكون إلا بالغزو، ولكنه سوف يعطي فرصة للاستمرار بالضغط العسكري والدبلوماسي. وقد أعطى الأمر بالموافقة على زيادة رحلات الطيران المنخفض فوق الجزيرة من مرتين باليوم إلى مرة كل ساعتين. وأمر بعمل برنامج مكثف لتأهيل حكومة مدنية جديدة في حال إتمام الغزو.

ويبدو أن الأزمة قد وصلت إلى طريق مسدود، فالسوفييت لم يعطوا أي إشارة بالتراجع بل اعطوا تلميحات معاكسة. والأمريكان ماضون في المراحل الأولى من التجهيز للغزو. إلى جانب ضربة نووية للاتحاد السوفييتي إذا استمر في العمليات العسكرية.

كان كاسترو شبه متأكد من أن هناك غزو أمريكي قريب للجزيرة، وأرسل رسالة لخروتشوف ويبدو أنه يدعو لتوجيه ضربة استباقية للولايات المتحدة. وقد أمر جميع الأسلحة المضادة للطيران بضرب أي طائرة أمريكية تحلق فوق الجزيرة، حيث أن هناك أوامر سابقة بضرب فقط أي سرب من طائرتين فأكثر. وفي السادسة صباح ٢٧ أكتوبر أرسل عملاء CIA مذكرة قالوا فيها من الواضح بأن ٣ من ٤ مواقع صواريخ في سان كريستوبال وموقعين في ساجو لا جراند يعملون بكامل طاقتهم. وأيضا الجيش الكوبي مستمر بمتابعته للموضوع، ولكنهم تحت أوامر بعدم التشغيل إلا إذا تعرضوا لهجوم.

وخلال اجتماع اللجنة وصلت رسالة من خروتشوف، جاء فيها: "إنك منزعج من كوبا. وأنت تقول إن هذا يزعجك لأنها تبعد عن سواحل الولايات المتحدة ٩٠ ميلا فقط عبر البحر. لكن... أنت وضعت صواريخ ذات قوة تدميرية هائلة، من النوع الذي تسميه هجومية في

تركيا، وملاصقة لنا تماما... لذلك فأقترح التالي: نحن على استعداد لإزالة الأشياء التي تعتبرها هجومية من كوبا... بالمقابل يعلن ممثلكم بأن الولايات المتحدة سوف تزيل الأشياء النظرية لها من الأراضي التركية... ثم بعد ذلك، يقوم أشخاص موكلون من مجلس الأمن للأمم المتحدة بتفتيش المواقع لمعرفة مدى استيفاء للوعود التي قطعت." وقد استمرت اللجنة باجتماعها حتى نهاية اليوم.

تمكنت صواريخ سوفيتية S-75 موضوعة بكوبا من ضرب طائرة أمريكية من نوع U-2 وأسقاطها فوق الأراضي الكوبية. وقد علم بعد ذلك أن قرار ضرب الطائرة جاء من قائد سوفيتي لم تحدد هويته وتحت مسؤوليته الشخصية. وفي مساء اليوم نفسه تعرضت عدة طائرات استطلاع (F-8) كانت بمهمة تصوير استطلاعي على مستوى منخفض تعرضت لإطلاق نار وأصيبت إحداها بطلقات ٣٧مم ولكنها استطاعت العودة للقاعدة، الأمر الذي زاد من توتر النقاش بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

خلال الاجتماع، اقترح كنيدي بتبني عرض خروتشوف لإبعاد شبح الصواريخ، لكن اللجنة كانت ضد العرض لأنه يضعف هيبة الناتو، والحكومة التركية كانت قد كررت رفضها لمثل هذا العرض. الشيء الذي يجعله معظم أعضاء تلك اللجنة أن روبرت كنيدي قد قابل السفير السوفيتي في واشنطن ليطلع ما إذا كانت تلك النوايا حقيقية أم لا.

وفي صباح يوم ٢٧ أكتوبر، أبلغت الولايات المتحدة حلفاءها بحلف الناتو بان "الوضع يتطور بسرعة... وقد تجد الولايات المتحدة وخلال فترة قصيرة جدا مضطرة مع حلفائها الغربيين لفضل عمل عسكري ضروري". وقد أضيف إلى هذا القلق تقرير من ال CIA وصل الساعة ٦:٠٠ صباحا يفيد بأن جميع منصات الصواريخ في كوبا قد باتت جاهزة للعمل.

كانت أخطر لحظات الأزمة يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٦٢ عندما رمت المدمرة الأمريكية بيل (USA Beale) قنابل أعماق على غواصة كانت مجهولة الهوية لديهم، وقد كانت في الواقع غواصة سوفيتية مجهزة بالأسلحة النووية. وقد اندلعت مشادة بين أكبر ثلاثة قادة مع

الجنرال فاسيلي أرخييفوف الذي عارض قرارهم بإرسال طوربيد نووي لتدمير المدمرة الأمريكية. وهو بذلك له الفضل في تفادي نشوب حرب نووية بتلك اللحظة.

بعد مشاورات مطولة بين السوفييت والإدارة الأمريكية، وافق كنيدي على المطالب المتعلقة بإزالة جميع قواعد الصواريخ الموجودة على الحدود التركية السوفييتية بالمقابل إزالة خروتشوف لجميع المنصات الموجودة بكوبا. وفي التاسعة صباح ٢٨ أكتوبر، وصلت رسالة من خروتشوف كانت قد أذاعها راديو موسكو. صرح فيها خروتشوف بالتالي: "أصدرت الحكومة السوفييتية إضافة إلى القرارات السابقة بوقف أي أعمال إضافية في بناء قواعد للأسلحة، فقد أصدرت قرارا جديدا بتفكيك الأسلحة التي توصف بالهجومية وقواعدها وإعادتهم إلى الاتحاد السوفييتي".

وجاء رد كنيدي سريعا بإصدار بيان فيه دعوة "إلى المساهمة البناءة والهامة في عملية السلام". واستمر فيها قائلا: "أخذت رسالتي إليك بالسابع والعشرين من أكتوبر وردك اليوم بعين الاعتبار بالقيام بمهمة قوية من جانب حكومتنا والتي ينبغي تنفيذها فورا. وستقوم الولايات المتحدة بعمل تقرير في إطار عمل مجلس الأمن بخصوص كوبا على النحو التالي: ستعلن بأن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية سوف تحترم حرمة الحدود الكوبية، وسيادتها، وتتعهد بعدم التدخل بالشؤون الداخلية وعدم إقحام أنفسهم وعدم السماح باستخدام الأراضي الأمريكية كجسر لغزو كوبا، وستمنع كل من يخطط لأعمال عدوانية لكوبا سواء من الأراضي الأمريكية أو أراضي دول مجاورة لكوبا.

يعتبر كاسترو من أكبر المستفيدين من معاهدة كنيدي - خروتشوف، فهي من الجانب العملي قد شددت من قبضته داخل كوبا التي لن تهاجمها أمريكا. من جانب آخر كانت كوبا هي المكان الوحيد الذي يستطيع خروتشوف أن يضع صواريخه بها لكي يقايض بها كنيدي لإزالة الصواريخ الموجودة بتركيا، لهذا لن يكون للسوفييت نية اللجوء إلى حرب نووية إن كانوا خارج مرمى نيران الأمريكان. لكن بما أن سحب الصواريخ من تركيا لم يكن له صدى قوي بذلك الوقت، فإن

خروتشوف بدا وكأنه الطرف الخاسر بتلك الأزمة. وأدرك كنيدي بأنه ربح الرهان ما بين القوتين الجبارتين وظهر خروتشوف كأنه ذليل. ولكن لم تكن تلك هي الحالة بشكل عام حيث أن كلا من خروتشوف وكنيدي حاولا جهدهما لتجنب أزمة رغم الضغط الشعوب على حكوماتهم، واستمر خروتشوف بالحكم لمدة عامين بعد ذلك.

انتهت الأزمة في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٢، عندما توصل كل من الرئيس الأمريكي جون كينيدي وأمين عام الأمم المتحدة يو ثانت إلى اتفاق مع السوفيت لإزالة قواعد الصواريخ الكوبية شريطة أن تتعهد الولايات المتحدة بعدم غزو كوبا وأن تقوم بالتخلص بشكل سري من الصواريخ البالستية المسماة بجوبيتر (Jupiter PGM-19) وثور (PGM-17 Thor).

أزال السوفييت بعد أسبوعين من الاتفاق جميع أنظمة الصواريخ ومعدات الدعم، وتم تحميلها على ثماني سفن تابعة لهم في الفترة من ٥ إلى ٩ نوفمبر. وبعدها بشهر أي في ٥ و٦ ديسمبر حملت القاذفة السوفيتية اليوشن-٢٨ على ثلاث سفن شحن إلى روسيا. وانتهى رسمياً الحظر على كوبا يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٦٢ في الساعة ٦:٤٥ مساء بتوقيت شرق الولايات المتحدة. بعد أحد عشر شهراً من الاتفاق وفي سبتمبر ١٩٦٣ تم إبطال مفعول جميع الأسلحة الأمريكية في تركيا. ثم حدث كنتيجة لمفاوضات إضافية إنشاء الخط الساخن بين موسكو وواشنطن.

❖ حرب فيتنام ١٩٥٧ - ١٩٧٥:

شكلت كل من فيتنام ولاوس وكمبوديا مستعمرة الهند الصينية الفرنسية، وذلك بداية من أواخر القرن التاسع عشر إلى الأربعينيات من القرن العشرين. واحتلت اليابان الهند الصينية خلال معظم فترة الحرب العالمية الثانية. انتهز الثوار الفيتناميون فرصة هزيمة اليابان فاحتلوا هانوي عاصمة البلاد مرغمين الإمبراطور الفيتنامي "باو داي" على التنحي عن الحكم. حاولت فرنسا إعادة سيطرتها على الهند الصينية بعد هزيمة اليابان في عام ١٩٤٥. ولكن هو شي منه، وهو نائز فيتنامي شيوعي، نظم ثورة في فيتنام الشمالية وأعلن استقلال فيتنام.

حاربت فرنسا هو شي منه، ثماني سنوات (١٩٤٦ إلى ١٩٥٤)، لكنها هزمت عام ١٩٥٤ بعد معركة "ديان بيان فو". وقعت اتفاقية سلام في جنيف بسويسرا في عام ١٩٥٤، بحضور وفدي فيتنام ووفود فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي والصين الشعبية والولايات المتحدة ولاوس وكمبوديا، قضت المعاهدة بتقسيم مؤقت لفيتنام إلى شطرين يفصل بينهما دائرة عرض ١٧ درجة شمالا، ورغم حضور الولايات المتحدة وحكومة سايجون الموالية لها في جنيف فإنهما لم توقعا على الاتفاق. وفور رحيل فرنسا من فيتنام بدأت الولايات المتحدة تساعد حكومة سايجون عسكريا.

شكل هوشي منه حكومة شيوعية في فيتنام (الشمالية). وفي ٢٤ أكتوبر ١٩٥٤، منح الرئيس الأميركي أيزنهاور مساعدة مالية سخية لحكومة سايجون ظلت تتزايد مع الزمن، كما بدأ المستشارون العسكريون الأميركيون يتوافدون على فيتنام الجنوبية بداية من فبراير ١٩٥٥، من أجل تدريب الجنود هناك. وفي ٢٣ أكتوبر ١٩٥٥، ظهرت أول حكومة في فيتنام الجنوبية منتخبة بقيادة "نغو دينه ديم"، وكان أول قرار اتخذته حكومته هو الامتناع عن أي استفتاء من شأنه أن يؤدي إلى اتحاد الشطرين الفيتناميين، مبررة ذلك بعدم حرية السكان في الجزء الشمالي. أعلنت الولايات المتحدة وقفها التام خلف حكومة فيتنام الجنوبية، وعقدت معها معاهدة صداقة وتعاون اقتصادي في أبريل ١٩٦١، وفي سنة ١٩٦٢ بلغ عدد الجنود الأميركيين في فيتنام الجنوبية ١١ ألف جندي.

لم تكن سياسات الرئيس ديم ذات الطابع التوتيلاري (الشمولى) قادرة على تنظيم البيت الداخلي في الجنوب الفيتنامي، فقد عارضه السياسيون ذوو النزعة الليبرالية لديكتاتوريته، كما عارضه البوذيون لميوله الكاثوليكية. وقد أطيح به في أول نوفمبر ١٩٦٣ في انقلاب عسكري وتمت تصفيته جسديا في ظروف غامضة. ويرى العديد من الباحثين أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عما جرى له ولنظامه. وفي عام ١٩٦٤، كانت وحدات الجيش الفيتنامي الشمالي تعمل في الجنوب، وسيطر الفيت منه على نحو ٧٥% من سكان فيتنام الجنوبية. وخلال الـ ١٨ شهرا التالية للإطاحة بالرئيس ديم، عرفت فيتنام الجنوبية

عشر حكومات عسكرية متعاقبة لم تستطع أي منها ضبط النظام وخاصة العسكري. واستغل ثوار جبهة التحرير الوضع المتأزم في الجنوب، فشنوا الهجمات لإضعاف حكومات سايجون الضعيفة أصلا.

بدأت التدخل الفعلي الأمريكي في شأن فيتنام في أغسطس من عام ١٩٦٤، عندما احتج الرئيس الأمريكي ليندون جونسون أن مدمرتين أمريكيتين قد هوجمتا في خليج تونكن، وهو حادث لم يثبت وقوعه، واستند على الحادث وأعلن الحرب على فيتنام الشمالية، ومع كثرة الانفصالات في فيتنام الجنوبية رأّت الولايات المتحدة أن تدخلا عسكريا شاملا هو المخرج من هذه الحالة. ومنذ فبراير ١٩٦٥، توالى القصف الأمريكي لفيتنام الشمالية، وفي ٦ مارس، تم أول إنزال للبحرية الأمريكية في جنوب دانانغ. وظل الوجود العسكري الأمريكي يزداد في فيتنام ليبلغ في نهاية ١٩٦٥ ما يناهز ٢٠٠ ألف جندي، ثم وصل في صيف ١٩٦٨ إلى ٥٥٠ ألفا، انضموا إلى نحو ٨٠٠،٠٠٠ من قوات فيتنام الجنوبية وما يقرب من ٦٩،٠٠٠ جندي من أستراليا ونيوزيلندا، والفلبين، وكوريا الجنوبية وتايلاند. وظلت أميركا تضغط على هانوي من أجل ترك دعم الثوار الجنوبيين، غير أن الأخيرة كانت ترفض أي تفاوض مع الولايات المتحدة مادامت مستمرة في قصفها المتواصل.

وعلى الرغم من تفوق الولايات المتحدة وحلفائها عددا وعدة على فيتنام الشمالية وامتلاكهم الأسلحة الأحدث، إلا أنهم لم يحاولوا غزو فيتنام الشمالية، واكتفوا بقصفها بالقنابل وتدمير منشآتها ومقراتها، ومع ذلك لم يؤثر الرعب الأمريكي والآلة الحربية المتطورة في معنويات الفيتناميين ولا في مقاومتهم بل تفرقوا في الأرياف ومراكز الإنتاج الزراعي وقد ازدادت فيهم معنويات المقاومة. في أكتوبر ١٩٦٦ أعلنت أميركا وحلفائها المشاركين بجنودهم في الحرب في مانيتا استعدادهم للانسحاب من فيتنام بعد ستة أشهر إذا ما خرجت فيتنام الشمالية من الحرب، وهو إعلان رفضه الشماليون بصرامة. ولم تثمر دعوة جونسون الزعيم السوفيتي كوسيجين إلى الضغط على هانوي لنتهي الحرب حين التقيا في يونيو ١٩٦٧، بل ظلت نيران الحرب مشتعلة، فما كان من جونسون إلا أن أعلن عزمه زيادة الجنود الأمريكيين في فيتنام ليصل

عدددهم عام ١٩٦٨ إلى ٥٢٥ ألفاً، كما أصبح القصف الأميركي للمواقع الشمالية قاب قوسين أو أدنى من الحدود الصينية.

ولم تنفع سياسة العصا والجزرة مع الفيتناميين، حيث لم تردعهم هجمات الولايات المتحدة المتكررة وقصفها المتواصل كما لم تغرهم دعوات جونسون للتفاوض، فظلت الحرب مشتتة وعدد الضحايا في ازدياد. ظلت المعارك خلال الحرب الفيتنامية، تدور في الجبال منتهجين إستراتيجية حرب العصابات، اتبعتها الفيتناميون المتكيفون أصلاً مع الأوضاع الطبيعية والمناخية الصعبة. وفي ١٩٦٨، أطلق الثوار الشيوعيون ما عرف بهجوم "تيت" (عيد التيت وهي الاحتفالات الفيتنامية بالعام الجديد) على مجموعة عمليات عسكرية شديدة استهدفت أكثر من مائة هدف حضري. وقد استطاع الثوار أن يتغلغلوا في الجنوب حتى بلغوا عاصمة الجنوب سايغون فتعرض الأميركيون للهجوم. ومع أن الثوار الفيتناميين فقدوا حوالي ٨٥ ألف شخص فإن التأثير النفسي للمعارك كان بالغ الأثر على الولايات المتحدة.

أعلن جونسون وقف القصف الأميركي لشمال فيتنام في ٣١ مارس ١٩٦٨، كما أعلن في نفس الوقت تقدمه لولاية رئاسية ثانية. وفي منتصف مايو ١٩٦٨، بدأت المفاوضات بين الفيتناميين والأميركان في باريس. لم يكد نيكسون ينجح في انتخابات رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٦٩، حتى أعلن أن ٢٥ ألف جندي أميركي سيغادرون فيتنام في أغسطس ١٩٦٩، وأن ٦٥ ألفاً آخرين سيجري عليهم نفس القرار في نهاية تلك السنة. غير أن لا الانسحاب الأميركي من فيتنام ولا موت الزعيم الشمالي هو شي منه يوم ٣ سبتمبر ١٩٦٩، أوقفا الحرب الضارية. فمفاوضات باريس عرفت تصلب الفيتناميين الذين طالبوا وبإلحاح بضرورة الانسحاب الأميركي التام كشرط أساسي لوقف إطلاق النار

في أبريل ١٩٧٠ غزت القوات الأمريكية وقوات فيتنام الجنوبية كمبوديا لمهاجمة القواعد العسكرية الشيوعية وقد أثار هذا التوسع في الحرب احتجاجاً كبيراً في الولايات المتحدة. انتهت الحملة الكمبودية في أواخر يونيو ١٩٧٠، وازدادت المعارضة ضد الحرب في الولايات المتحدة سريعاً إلى حد كبير، نتيجة لتغطية تلفازية قدمت مناظر عن

فظائع الحرب داخل ملايين المنازل الأمريكية. كما أدى اتهام قوات الولايات المتحدة باستخدام مبيدات الحشائش لتجريد مناطق شاسعة من الأدغال الفيتنامية من أوراقها إلى احتجاج دولي واسع النطاق. وفي ٢٥ يناير ١٩٧٢، أعلن نيكسون طبيعة المفاوضات الأمريكية الفيتنامية وما قدمته الإدارة الأمريكية بشكل سري للفيتناميين، كما كشف اللثام عن مخطط جديد للسلام مكون من ثماني نقاط بينها إجراء انتخابات رئاسية في الجزء الجنوبي من فيتنام.

أخذت الحرب منحى خطيرا حين قامت فيتنام الشمالية يوم ٣٠ مارس ١٩٧٢ بهجوم كاسح نحو الجنوب داخل منطقة "كانج تري" متجاوزة بذلك المنطقة المنزوعة السلاح، وكان رد الفعل الأميركي مزيدا من القصف الجوي. وبينما كانت نيران الحرب تشتعل بدأت المفاوضات السرية بين الطرفين، حيث اجتمع مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي يومها هنري كيسنجر بمندوب فيتنام الشمالية دوك تو. ومع انتعاش الآمال بالوصول إلى حل نهائي وفي محاولة للضغط على الفيتناميين وكسب انتصارات ميدانية تقوي من موقفه، أمر الرئيس نيكسون يوم ١٧ ديسمبر ١٩٧٢، بقصف هانوي وهاييونغ (الميناء الرئيس في فيتنام الشمالية)، فصبت طائرات بي ٥٢ نيرانها على المدينتين في قصف لم تعرف الحرب الفيتنامية نظيرا له. وفقدت أميركا ١٥ من هذه الطائرات كما فقدت ٩٣ ضابطا من سلاح الطيران الأميركي.

تم التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار في ٢٣ يناير ١٩٧٣ ودخل الاتفاق حيز التنفيذ يوم ٢٨ من نفس الشهر. تقضي بانسحاب الولايات المتحدة من فيتنام بعد أن فقدت الأخيرة مليون ومئة ألف قتيل، في مقابل ٥٧،٥٢٢ قتيل في صفوف الجيش الأميركي وحلفائه، إضافة إلى ١٥ ألف أسير، وتم توحيد شطري فيتنام.



الوفاق الدولي والتعايش السلمي

وسط مظاهر الحرب الباردة وتفجر أزمة الصواريخ الكوبية ونشوب حرب فيتنام والحرب الكورية ظهرت بوادر سياسة الوفاق مثل قبول الولايات المتحدة الأمريكية بتقسيم ألمانيا وبالسيطرة السوفيتية الواضحة للعيان على أوروبا الشرقية وإقامة الخط الساخن سنة ١٩٦٣ لربط البيت الأبيض بالكرملين، وتم إبرام اتفاقيات التقارب والتعايش السلمي، ومنها معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية عام ١٩٦٣،^(٣٥) ومعاهدة

(٣٥) وقعت معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية في ٥ أغسطس ١٩٦٣، وقعها وزراء خارجية الولايات المتحدة (راسك) والاتحاد السوفيتي (جروميكو) وبريطانيا (هيوم) في موسكو، وحضرها الأمين العام للأمم المتحدة يو ثانت والرئيس السوفيتي خروشوف، والمعاهدة تحرم إجراء تجارب أو تفجيرات نووية في أي مكان سواء في البر أو البحر أو حتى في الفضاء الخارجي، تم تبني المعاهدة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠ سبتمبر ١٩٦٦، فُتِح باب التوقيع عليها في نيويورك في ٢٤ سبتمبر ١٩٦٦، عندها تم التوقيع على المعاهدة من قبل ٧١ دولة، من بينهم خمسة من الثمانية التي كانت تمتلك قدرات نووية حينها، اعتباراً من شهر فبراير عام ٢٠١٢ العدد الاجمالي للدول المصادقة على المعاهدة كان ١٥٧ دولة وهناك ٢٥ دولة وقعت على المعاهدة ولم تصادقها بعد، وستدخل المعاهدة حيز التنفيذ بعد أن تصدق عليها الدول الـ ٤٤ المدرجة في الملحق الثاني بـ ١٨٠ يوماً. "دول الملحق الثاني" هي الدول التي شاركت في المفاوضات على معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية ما بين عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٦ وتمتلك مفاعلات الطاقة النووية أو مفاعلات لاجراء البحوث في هذا المجال في

الفضاء الخارجي عام ١٩٦٧،^(٣٦) ومعاهدة حظر التكاثر النووي عام ١٩٦٨ م.^(٣٧)

وقد غيرت هذه المعاهدات نوعاً ما طبيعة الصراع بين المعسكرين، بجروح كل منهما إلى التهدئة فحاولاً أن يترجماً هذه الرغبة إلى واقع عملي في سباق التسلح، فيما عرف بالتعايش السلمي، فما هو التعايش السلمي؟ وضع لينين أسس التعايش السلمي فأشار إلى إمكانية انتصار

ذلك الوقت واعتباراً من ٧ ديسمبر ٢٠١١، ثماني من دول المرفق الثاني لم تصدق بعد على المعاهدة: الصين، مصر، إيران وإسرائيل والولايات المتحدة حيث ان هذه الدول وقعت على المعاهدة ولكن لم تصادق عليها بعد، والهند وكوريا الشمالية وباكستان لم توقع عليها، في عام ١٩٩٨ قالت الهند انها لن توقع على المعاهدة إلا إذا قدمت الولايات المتحدة جدولاً زمنياً للقضاء على مخزونها النووي، شرطاً رفضته الولايات المتحدة.

(٣٦) معاهدة الفضاء الخارجي، والمعروفة رسمياً باسم معاهدة المبادئ المنظمة لأنشطة الدول في ميدان استكشاف واستخدام الفضاء الخارجي، بما في ذلك القمر والأجرام السماوية الأخرى، هي المعاهدة التي تشكل أساس القانون الدولي للفضاء، وبدأت المعاهدة بتوقيع ثلاث دول هي الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، والاتحاد السوفيتي في ٢٧ يناير ١٩٦٧، ودخلت حيز التنفيذ في ١٠ أكتوبر ١٩٦٧. وانضمت ٩٨ دولة إلى المعاهدة حتى ١ يناير ٢٠٠٨، بينما ٢٧ وقعت على المعاهدة لكنها لم تكمل بعد التصديق، من بينها إسرائيل وإيران، ومن بين مبادئها حظر وضع أسلحة الدمار الشامل في مدار الأرض، أو تثبيتها على سطح القمر أو أي جرم سماوي، أو محطة فضاء، ولم تحظر المعاهدة نشر الأسلحة التقليدية في المدار، وتنص المعاهدة أيضاً على أن القيام باستكشاف الفضاء الخارجي يجب أن يكون لمنفعة جميع البلدان ويجب أن يكون مجاناً للاستكشاف والاستخدام من قبل جميع الدول، باعتباره إرثاً مشتركاً للبشرية، فلا يحق لأحد ادعاء ملكية جزء منه، كما أوجبت عدم تلويث الفضاء الخارجي وكل دولة مسؤولة عما تحدثه من أضرار فيه.

(٣٧) معاهدة حظر التكاثر النووي تجرم استخدام الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل، وفرض قيوداً على الإنتاج والتخزين، تم توقيعها في يوليو ١٩٦٨ ودخلت حيز التنفيذ في ٥ مارس عام ١٩٧٠. وفرضت على الدول النووية تعهداً بعدم نقل الأسلحة النووية إلى دولة أخرى وعدم تقديم أي شكل من أشكال المساعدة إلى الدول غير الحائزة لهذه الأسلحة لإنتاجها. وأن تتعهد بالتبادل الكامل للمعرفة التقنية، والتفاوض من أجل تفعيل تدابير نزع السلاح، كما فرضت على الدول غير الحائزة للسلاح النووي التزاماً بعدم طلب أو تلقي أية مساعدة لصنع هذا السلاح، وأن تقبل ضمانات الوكالة الدولية، لمنع تحويل الطاقة النووية من الأغراض السلمية إلى التسلح.

الثورة البروليتارية^(٣٨) في بلد واحد أو عدة بلدان، كما أشار لينين لا حقا إلى أن هذا الانتصار يمر حتما بمرحلة التعايش بين الدول الاشتراكية الجديدة والدول الرأسمالية القديمة، وأصبح مبدأ التعايش السلمي من المبادئ المهمة للسياسة الخارجية السوفيتية، واعتبر لنين التعايش السلمي شكل من أشكال الصراع الطبقي ولكن بالطرق السلمية وليست العنيفة أو المسلحة، وتم تطبيق مبدأ التعايش السلمي من قبل القيادة السوفيتية، حيث أقر ذلك في برنامج السلام الذي قدم في المؤتمرين الرابع والعشرين والخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي، وكذلك برنامج السلام الذي أقر في الثمانينات في المؤتمر السادس والعشرين للحزب.

واعتمادا على مبدأ التعايش السلمي بدأت سياسة الوفاق الدولي التي تعني الانتقال من سياسة الحرب الباردة ومبدأ استخدام القوة إلى العلاقات السلمية بين الدول، وإقامة علاقات تعاون متكافئ في الحقوق بين دول الشرق والغرب، ومن هنا يتضح أن الوفاق الدولي هو محاولة حل المنازعات والمشكلات الدولية بالوسائل السلمية وليس بالقوة والتهديد بها، وهذه السياسة تنقل الدول من مواقع الحذر والتوتر إلى مواقع الهدوء، وخلق علاقات دولية مبنية على تنمية التعاون بين مختلف الدول في الجوانب الاقتصادية والعلمية وغيرها من المجالات الأخرى ذات الصبغة الإنسانية. وهكذا تراجع خيار الحرب بين القوتين العظميين، وحلت لعة الحوار محل الصواريخ الباليستية ولغة

(٣٨) الثورة البروليتارية: هي السيطرة السياسية والاقتصادية للطبقة العاملة على وسائل الإنتاج وأجهزة الدولة من خلال مجالسها العمالية ومدوبيها المنتخبين، وتلك السيطرة العمالية لا يمكن أن تتحقق إلا بإرادة الطبقة العاملة أي لا يمكن أن تتحقق إلا بثورة العمال أنفسهم. فالسلطة العمالية هي التحرير الذاتي للطبقة العاملة. وأيضاً فديكتاتورية البروليتاريا هي بداية تحول تاريخي عالمي يقضي على الرأسمالية العالمية، فلا يمكن أن تستقر السلطة العمالية في بلد واحد داخل العالم الرأسمالي ولا يمكن للثورة العمالية أن تنتصر انتصاراً نهائياً إلا على مستوى العالم كله وهذا لا يعني أن الثورة العمالية حدث واحد إنما يعني أنها سلسلة من التحولات الثورية في بلدان العالم المختلفة. وديكتاتورية البروليتاريا هي التعبير السياسي عن الاشتراكية وهي في واقع الأمر إمكانية موضوعية داخل العالم الرأسمالي ذاته يمكن لها أن تنمو وتتحقق من خلال الممارسة الثورية الذاتية للطبقة العاملة القوة الاجتماعية الوحيدة المؤهلة لإنجاز التحول الاشتراكي العالمي.

القوة، فبدأت الزيارات والاتفاقيات التجارية محل التهديدات والمواجهات. وقد عم العالم سلام واستقرار نسبيين في مختلف أرجاء العالم.

ومن العوامل التي أدت إلى نجاح سياسة الوفاق الخوف من خطورة اندلاع حرب نووية مع التزايد المستمر في تكديس الأسلحة النووية، بالإضافة إلى الارتفاع الباهظ في نفقات سباق التسلح، وما تركه من آثار سلبية في الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للشعوب. وكذلك ميل البلدان الأوربية نحو الرغبة في الخروج من عباءة السيطرة الأمريكية على أمنها ومقدراتها الاقتصادية، وهذا ما جعلها تتجه نحو إيجاد صيغة للتعاون الأوربي في المجالات الاقتصادية والدفاع والسياسة الخارجية، بعيدا عن تأثيرات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، الأمر الذي ساعد السوفيت في طريق إنجاز مبدأ التعايش السلمي.

أما التطبيق العملي لسياسة الوفاق الدولي والعلاقات السياسية الدولية فقد بدأت في فترة رئاسة الرئيس الأمريكي نيكسون، وتحديدا في عام ١٩٦٩، وبدأت هذه السياسة تؤتي ثمارها بتوقيع معاهدة الحد من الأسلحة الإستراتيجية في موسكو عام ١٩٧٢، بين نيكسون وبريجنيف، والتي سميت بسالت ١ وأقربها اجتماع فلاديفستوك ١٩٧٢، التي في عهد كارتر وبريجنيف وسميت بسالت ٢ كما شهدت الأعوام ١٩٧١، ١٩٧٥ تطورا ملموسا في العلاقات السوفيتية الفرنسية والسوفيتية الألمانية، وتم عقد اتفاقيات بين هذه الأطراف في مختلف المجالات، كما حدث تطور نسبي في علاقات دول أوروبا الغربية بدول أوروبا الشرقية، فشهد عام ١٩٧٥ عقد مؤتمر في هلسنكي، لتعزيز سياسة الوفاق الدولي، إذ تم الاعتراف بشرعية الوضع السياسي القائم لأول مرة، والتعهد باحترام الحدود القائمة.

لم ترق سياسة الوفاق الدولي تحالف الإمبريالية الغربية والصهيونية، فقامت القوى اليمينية المتطرفة بحملة ضد سياسة الوفاق، فطالبت بالعودة إلى سياسة المواجهة مع الاتحاد السوفيتي ونبذ سياسة الوفاق التي تحمس لها كارتر، وتعزز هذا الاتجاه بوصول رونالد ريجان للسلطة في بداية العقد التاسع من القرن العشرين، ومجيء حكومات غربية في معظم دول أوروبا الغربية معادية بشكل عام للاتحاد السوفيتي، لذا يطلق على هذه الفترة " بالمرحلة الثانية من الحرب الباردة

" وقد ساعد على التوتر بين الكتلتين الشرقية والعربية تدخل الاتحاد السوفيتي في أفغانستان سنة ١٩٧٩، وبلغ الأمر بحكومة ريجان أن أفرغت معاهدت سالت ٢ من محتواها وأعلنت أنها معاهدة ميتة. وساهم تدهور الأوضاع الداخلية للاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية في إحداث تطورات مهمة في الاتحاد السويتي والحزب الشيوعي نفسه، ساهم في وصول ميخائيل جورباتشوف إلى كرسي السلطة في الاتحاد السوفيتي، استشرع جورباتشوف مشكلة بلاده الاقتصادية فحاول أن يبعث الحيوية في سياسات بلاده بشيء من الواقعية. وقد التقى جورباتشوف بريجان سنة ١٩٨٥ في محاولة لوقف سباق التسلح.

الفصل الخامس

البروسترويكا والعلاقات الدولية

- إعادة البناء (البروسترويكا)

- تأثير البروسترويكا على العلاقات الدولية

البروسترويكيا مصطلح روسي يعني إعادة والكشف عن المشكلات الفعلية والنواقص والاختفاء ومعالجتها، دخلت القاموس السياسي في منتصف العقد التاسع من القرن العشرين عندما أُنقح الزعيم السوفيتي ميخائيل جورباتشوف أمانة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في مارس ١٩٨٥، بتبني سياسة إعادة البناء في إبريل ١٩٨٥، ويقول جورباتشوف إن البروسترويكيا تعني التخلص التام من العمليات الراكدة وتحطيم آلية الكبح وبناء آلية متينة وفعالة لتسريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع وإضفاء الذاتية عليها، والبروسترويكيا إبداع حي للجماهير وتطوير شامل للديمقراطية والإدارة الاشتراكية الذاتية وتشجيع المبادرة الذاتية وتعزيز الانضباط والنظام وتوسيع العلنية والنقد الذاتي في سائر مجالات الحياة، أي أنها محاولة لتقوية شاملة للاقتصاد السوفيتي واستعادة تطوير مبادئ المركزية الديمقراطية في الإشراف على الاقتصاد الوطني والتطبيق الشامل لطرق الإدارة الاقتصادية والتخلي عن المركزية والنزعة الإدارية الفردية، والتشجيع الشامل للتجديد الاشتراكي، ورافقت سياسة البيريسترويكيا المزيد من الاشتراكية والمزيد من الديمقراطية، وهذا يعني التخفف من الشيوعية.

ويرى البعض أن هذه السياسة الجديدة خروج على الاشتراكية نفسها فضلا عن الشيوعية، ويرى البعض الآخر فيها تجديدا للاشتراكية الأمر الذي دعا جورباتشوف إلى القول: سوف نسير نحو الاشتراكية الأفضل ولن نحيد عنها، ودون أن نتحايل أمام شعبنا ولا أمام الآخرين، ولن نبدأ ببناء مجتمع غير اشتراكي وننتقل إلى معسكر آخر، ولم يكن كلام جورباتشوف حقيقيا، لكن الذي حدث هو العكس حيث أن المجتمع السوفيتي بدأ ينتقل وبشكل تدريجي إلى اقتصاد السوق الحر، فكانت اشتراكية جورباتشوف الأفضل هي في الواقع الرأسمالية، فقدمت البيريسترويكيا للمعسكر الغربي خدمات مجانية تفوق في أهميتها تكاليف حلف شمال الأطلسي.

ويعرّف جورجورف البيريسترويكيا في موسوعة المعرفة **Encyclopedia** من خلال النتائج التي تحققت على الأرض في الاتحاد السوفيتي، بأنها سياسة قيادة الحزب الشيوعي السوفيتي والدولة السوفيتية من ١٩٨٥ وحتى أغسطس ١٩٩١، وكان جوهرها محاولة

تصحيح مسارات الاقتصاد والسياسة والأيدولوجيا والثقافة، وجعلها ذات طابع إنساني مثالي، إلا أن التناقضات القوية التي برزت أدت لانهايار الحزب الشيوعي والدولة.

أما بالنسبة لمعنى البيريسترويكا في المجال الخارجي فقد آمن جورباتشوف أن العالم مشترك متعدد الوجوه ومتشابك وديناميكي تتخلله اتجاهات متنافرة وتناقضات حادة، إنه عالم التطورات الاجتماعية المتسارعة والثورة العلمية والتكنولوجية الشاملة، ومعها تحتدم المشاكل والصراعات العالمية، لذا فمصالح الدول وحدها لا تشكل أساسا للعلاقات الدولية، لقد تعبت الشعوب من التوتر والمجابهة، وبدأت تبحث عن عالم أكثر أمنا ورسوخا، عالم يحافظ فيه كل فرد على نظراته الفلسفية والسياسية والأيدولوجية وعلى نمط معيشته، ولهذه الأسباب مجتمعة تبرز بحدة مسالة ضرورة الفهم الجديد للوضع الدولي بأسره ولكل العوامل التي ينتشل منها. إن البيريسترويكا أكدت ضرورة الاعتراف بأن الآن كل واحد لا يتجزأ، ويقوم أساسه الوحيد على الاعتراف بمصالح سائر الشعوب والدول والمساواة فيما بينها في الحياة الدولية. إن هذه الرؤية الجديدة تعني إبعاد أو تغيب للصراع الأيدولوجي بين المعسكرين وتؤكد في الوقت نفسه عدم خضوع السياسة الخارجية لهذا الصراع لا يجوز نقل الخلافات الأيدولوجية إلى مجال العلاقات الدولية وإخضاع السياسة الخارجية لها، لأن مصلحة البقاء ودرء الحرب هي الأشمل والأبقى والأسمى. وبهذا الفهم فإن البيريسترويكا في المجال الدولي تعني حل مشكلات التنمية الاقتصادية لضمان السلام العادل.

انحرفت سياسة جورباتشوف الخارجية وتحديدًا تجاه الراسمالية عن المبادئ الماركسية اللينينية وأساسيات الحزب الشيوعي كشكل من أشكال الصراع الطبقي، كما ألغت البيريسترويكا التناقض بين النظام الشيوعي والرأسمالي كمسبب للصراع، وعلى ذلك اختفت صورة العدو، وتبعها تنازلات كبيرة من الجانب السوفيتي وترتب عليها نتائج سياسية أدت إلى قيادة العالم نحو الأحادية.

أما عن تأثير البيريسترويكا في العلاقات الدولية فقد لفظت البيروسترويكا المفاهيم الماركسية لإبعاد أي شبح لحرب عالمية جديدة وضرورة حل الخلافات بالطرق السلمية وعلى أساس توازن المصالح،

ولهذا اقر المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي برنامجا جديدا متعدد الجوانب لبناء نظام شامل للأمن الدولي والعلاقات الدولية قد، ويقوم هذا البرنامج على أسس تخلي الدول النووية عن الحرب فيما بينها أو ضد دولة ثالثة تقليدية، مع حظر السلاح النووي والكيميائي وتصفيته بالكامل، والتخلي عن صنع كل أسلحة الإبادة الجماعية، كما تضمن البرنامج تخفيضا منظما للقدرات العسكرية النووية حتى حدود الكفاية المعقولة، وكذلك حل التكتلات العسكرية.

وجاءت الخطوة الأولى في اتجاه الحل بتخفيض الميزانيات العسكرية، وفي المجال السياسي طالبت بالاحترام المتبادل غير المشروط في الممارسة الدولية كحق لكل شعب باختيار طريق تطوره وأشكاله على أساس السيادة، كذلك التسوية السلمية السياسية العادلة للأزمات الدولية والنزاعات الإقليمية، وصياغة مجموعة من الإجراءات لتعزيز الثقة بين الدول وضمان منع الاعتداء، وتأمين استخدام المواصلات الدولية البرية والجوية والبحرية. وفي المجال الاقتصادي ركز على إبعاد سائر أشكال التمييز في العلاقات الدولية، والتخلي عن سياسة الحصار والعقوبات الاقتصادية فيما إذا كانت لا تنص عليه مباشرة توصيات المجتمع الدولي، كذلك البحث المشترك عن الطرائق للتسوية العادلة لقضية الديون، وإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد يضمن الأمن الاقتصادي المتساوي لسائر الدول وكذلك صياغة مبادئ استخدام جزء من الأموال التي سيتم توفيرها نتيجة لتخفيض الميزانيات العسكرية لخير المجتمعات الدولية، لاسيما البلدان النامية، وأخيرا توحيد الجهود في دراسة الفضاء واستخداماته السلمية وحل القضايا الدولية التي تتعلق بها مصائر الحضارة.

وعلى صعيد المجال الإنساني فقد تم التركيز على محور التعاون في نشر أفكار السلام ونزع السلاح والأمن الدولي ورفع معيشة الشعوب، وتعزيز روح التفاهم المتبادل والوفاق في العلاقات الدولية. واستتصال أفكار وسياسات الإبادة الجماعية للشعوب والتفرقة العنصرية، وأي تمييز على أساس الدين أو اللون أو العرق. وتوسيع دائرة التعاون الدولي مع احترام خصوصية كل بلد وحرية، في سبيل تحقيق أكبر قدر من حقوق الإنسان في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والشخصية،

وتعزيز التعاون في مجالات الثقافة والفنون والعلوم والتعليم والطب ويبدو أن هذا الفهم للبيروسترويكما الذي يجعل من العلاقات الدولية علاقات إنسانية، لكنه ينفصم عن الواقع الذي يريده الجانب الأقوى وهو الغرب، لاسيما في مجال سباق التسلح النووي.

وانطلاقا من أفكار البيريسترويكما الجديدة دعا جورباتشوف إلى عقد لقاء قمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي للنظر في وضع العالم ووضع العلاقات بين قطبي العالم، وبالفعل تم عقد لقاء قمة جنيف في نوفمبر ١٩٨٥، تلك القمة التي جمعت بين الرئيس الأمريكي رونالد ريجان والرئيس السوفيتي جورباتشوف، وجرى في هذا اللقاء تبادل الآراء من أجل الوصول إلى صيغة جديدة تساهم في وضع حد للحرب الباردة، ثم جرت بعد ذلك سلسلة من لقاءات القمة عقدت في ريكايفيك أكتوبر ١٩٨٦، وقمة واشنطن في ديسمبر ١٩٨٧، وقمة موسكو في مايو ١٩٩٠م. وتركت هذه اللقاءات بصمات إيجابية على تطور العلاقات بين البلدين، وفهم الجانب الأمريكي لسياسة البيروسترويكما، فساهمت هذه اللقاءات في كسر حدة الصراع بين الشرق والغرب، ولم يخل الأمر من إثارة الولايات المتحدة العقبات في وجه الحلول السلمية العادلة للمشاكل الدولية الملحة، لان هذه الحلول تتعارض مع الطبيعة العدوانية للسياسة الأمريكية التي تتسلط على ثروات الشعوب.

وعلى الرغم من تبدل الولايات المتحدة في استجابتها فقد واصل الاتحاد السوفيتي طرح مبادراته السلمية، الأمر الذي أدى إلى فشل قمة ريكايفيك التي كان من المتوقع لها أن تكون مقدمة لتوقيع اتفاقيات أخرى بهدف الحد من التسلح، وهي المشروعات التي لو تم إقرارها لوضعت الأساس لميلاد عصر جديد خال من السلاح النووي، لقد اتسم الجانب الأمريكي في رده على البرنامج السوفيتي في هذه القمة باللف والدوران اللذين أوصلا الطرفين إلى طريق مسدود، حتى غدا الوضع معقدا ومتناقضا أكثر فأكثر بعد قمة ريكايفيك. وكان الاختلاف الأساسي حول السلاح النووي والصواريخ متوسطة المدى، وأبدى الجانب الأمريكي تعنتا مبالغا فيه، وعلى أي حال كانت قمة ريكايفيك مجرد درجة في سلم الحوار المعقد والصعب، في البحث عن حلول غير تقليدية خارج صندوق العلاقات الثنائية الضيق، لقد قام الاتحاد السوفيتي بخطوات كبيرة

متجاوبة بما فيها إبداء الرغبة في التنازلات من طرف واحد، وأما الولايات المتحدة فقد نسفت اتفاقية سالت 2 وعرضت معاهدة الدفاع المضاد للصواريخ للخطر، ومع هذا دفع الاتحاد السوفيتي بخطوات جديدة، في محاولة لبث الحياة في مباحثات أخرى، وكان الرد الأمريكي أن الولايات المتحدة والغرب لا يمكنهما الوثوق بالمبادرات السوفيتية حول تخفيض الأسلحة إلا إذا تخطى السوفييت عن الشيوعية، ظل التعنت هو سمت السياسة الأمريكية تجاه التنازلات السوفيتية.

لم تبق الأمور على جمودها في العلاقات الثنائية بشأن الحرب الباردة، فقد تم التوصل لاتفاق على طريق إزالة الصواريخ المتوسطة المدى من أوروبا لاحقاً، كما قام الاتحاد السوفيتي بالانسحاب من أفغانستان، الأمر الذي سهل الوصول إلى اتفاق جنيف، كما واصل الاتحاد السوفيتي دعواته إلى حل النزاعات الإقليمية في أمريكا الوسطى وغرب جنوب إفريقيا، ودعا إلى مؤتمر دولي لحل مشكلة الشرق الأوسط تقوم أساساً على مبدئين:

الأول: حق تقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية على أساس قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ قرار التقسيم مضافاً إليه القرارين رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ كأساس للمؤتمر الدولي.

والثاني: عدم عقد صفقات منفردة لتحقيق الحل العادل والشامل. ومن الطبيعي أن ترفض الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل هذه المبادرة والدعوة لعقد مثل هذا المؤتمر، واستمر الجانبان الأمريكي والإسرائيلي في تجاهل منظمة التحرير الفلسطينية، وقابلت الولايات المتحدة والغرب المبادرات السوفيتية بالرفض نظرياً وعملياً، حيث تابع الجانب الأمريكي تدخله في أفغانستان، كما واصلت سياسة التدخل في بلدان أمريكا اللاتينية، وقامت الولايات المتحدة بقصف الجماهيرية الليبية ١٩٨٦، حيث قصف الطيران الأمريكي عبر أراضي حلف الناتو طرابلس وبنغازي ومواقع أخرى في أراضي ليبيا، في إجراء عدواني مباشراً قوبل بصمت أوربي وعجز سوفيتي.

أما مسألة تخفيض الأسلحة التقليدية الذي أعلنه الاتحاد السوفيتي من طرف واحد، فلم يكن إلا خطوة استفاد منها الغرب وحده؛ فالوفاق الدولي الجديد الذي انتهجته السياسة السوفيتية الجديدة وما أبرم من

اتفاقات للحد من الأسلحة النووية والتقليدية وتدمير جزء منها، ثم سحب الجيوش التي كانت ترابط في الأراضي الأجنبية، وإعلان نهاية الحرب الباردة بعد قمة مالطا، كلها خطوات ايجابية وجدت صدى واسعا وتأريدا من قبل شعوب العالم، إلا أن الولايات المتحدة والغرب أخذوا يستغلون الوضع الدولي الجديد لتوسيع نفوذها وتغليب مصالحها وفرض هيمنتها وسيطرتها بكل الوسائل بما في ذلك استخدام القوة. وكانت البداية في الهجوم الأمريكي غير المبرر على ليبيا عام ١٩٨٦ وكذلك احتلال بنما واعتقال رئيسها وترحيله إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم استكملت بحرب الخليج الأولى ثم الثانية، وما حرب الخليج إلا محطة في طريق تكريس زعامة الولايات المتحدة للعالم بعد انهيار منظومة المعسكر الشرقي.

وخلاصة القول أن البيروسترويكما أدت إلى تطورات متلاحقة هدمت الكيان السوفيتي في أغسطس ١٩٩١، فشلت في تحقيق التوازن المنشود، وأن سياسة جورباتشوف الانفتاحية في الأخذ بمزيد من الليبرالية الغربية لم يؤدي إلا لمزيد من تدهور الوضع السياسي والاقتصادي والمكانة الدولية للاتحاد السوفيتي كإحدى القوتين العظميين في العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد جاءت الهزيمة من الداخل، بل من قمة النظام السوفيتي عندما تخلى جورباتشوف عن أدراك الدور العالمي للسوفيتي، ففتح الطريق أمام الولايات المتحدة لتشغل المساحات التي باتت فارغة على المسرح السياسي الدولي بعد انكفاء السوفيت على مشاكلهم الداخلية والانشغال بشعارات البيروسترويكما، وهي السياسة أثرت على التفاعلات الدولية بين القطبين وسياسة التوازن الدولي إلى انتكاسات أخلت بالدور السوفيتي وبموازن القوة في العالم وأغرقت الامريكان بالانفراد والهيمنة على مقادير وتوجهات السياسة العالمية.

إن جميع التطورات الدراماتيكية التي حدثت في أوروبا الشرقية أولا ثم عصفت بالاتحاد السوفيتي معقل الشيوعية وحصن الاشتراكية أكدت أن البيروسترويكما كانت صدمة مفاجئة لها النظام. وحرار في تفسيرها المنظرون .. هل كانت ثورة في إطار الاشتراكية أم ثورة مضادة للاشتراكية؟! لقد شكلت نهاية الحرب الباردة في الفترة من ١٩٨٩-

١٩٩١ التحول الكبير الثالث في تاريخ القرن العشرين كانت ايدانا بتحول
درامي في الشؤون الدولية مثلها مثل نهاية كل من الحربين العالميتين
الاولى والثانية، لقد وضعت نهاية لصراع أيديولوجي حاول فيه نظامان
اجتماعيان متناقضان طوال أربعين عاما بسط هيمنتيهما على العالم،
فانتهى لصالح النظام الرأسمالي وانهار المنظومة الاشتراكية.

الفصل السادس

العلاقات الدولية في نهاية القرن العشرين

- انهيار المنظومة الاشتراكية والاتحاد السوفيتي
- القطبية الأمريكية واختلال توازن العلاقات الدولية

أنهيار المنظومة الاشتراكية والاتحاد السوفيتي

ألقت البيروسترويكيا بظلالها على الدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية، فلم تكن تلك الدول تسير بمعزل عن تأثيرات السياسة الجديدة التي أنتهجها الاتحاد السوفيتي والتي خلقت ردود فعل حادة ضد هذه البلدان وأحزابها الشيوعية والاشتراكية، فأدت إلى إحداث تغيير جذري في أنظمة الحكم في هذه البلدان، وقد ساعد جورباتشوف على ذلك خل فترة حكمه بقوله " إن النهج الذي اخترناه بضرورة تسريع الخطى في طريق الإصلاح، والتعاون مع البلدان الاشتراكية في هذا الصدد من منطلق دورنا التاريخي، وتشاطرننا الأحزاب الشيوعية والاشتراكية النهج نفسه". غير أن الثابت في مواقف الدول الاشتراكية وقيادة أحزابها، أنها لم تتفق مع ماذهب إليه جورباتشوف، فكثير من الأحزاب الشيوعية في المعسكر الاشتراكي في أوروبا الشرقية أبدت تحفظا كبيرا على هذه السياسة، ومنها الحزب الاشتراكي الألماني الموحد، الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، والحزب الشيوعي الروماني. كما أن هناك أحزابا شيوعية أخرى في مناطق أخرى من العالم هي الأخرى أبدت تحفظا شديدا حول هذه السياسة وفي مقدمتها الحزب الشيوعي الأمريكي والحزب الشيوعي الكوبي، وحتى أحزابا شيوعية في بلدان العالم الثالث ومنها مصر وسوريا والعراق، إذن لا يمكن القول بأن الأحزاب الشيوعية في البلدان الاشتراكية أو غيرها كانت جميعها تتشاطر جورباتشوف الرأي.

وفي المقابل هناك أحزاب شيوعية أيدت سياسة جورباتشوف، ولم تكتمف بالتأييد بل بالغ بعضها في هذه السياسة فاعتبروها إحياء للماركسية واللينينية انطلاقا من الفهم الميكانيكي لنقل التجارب الروسية دون الأخذ بعين الاعتبار الواقع القومي والظروف الخاصة لكل بل. إن التحرك الجماهيري الواسع في بلدان أوروبا الشرقية لم يكن بمعزل عن التفكير السياسي الجديد الذي جاءت به " البيروسترويكيا "ففي بولونيا نتجت أزمات حادة من جراء النشاط السياسي الذي قامت به نقابة التضامن التي أصبحت تهدد السلطة الفعلية، وبالفعل في أول انتخابات حققت هذه الحركة انتصارا على الحزب الشيوعي، وشكلت ائتلافا

لتقاسم السلطة مع أنصار الكنيسة وحزب العمال البولوني الموحد والأحزاب الأخرى، أما في ألمانيا فقد رفض هونيكير وقيادة الحزب البيريسترويكا، الأمر الذي أدى إلى ظهور تيار معارض منظم استقطب جماهير واسعة، تمكن من استلام السلطة، كذلك الحال في تشيكوسلوفاكيا حيث عارض الحزب الحاكم سياسة البيريسترويكا ورفض إحداث أية تغييرات ديمقراطية، إلا أن المعارضة تمكنت من تحقيق الانتصار في الانتخابات، أما في المجر فجاءت الدعوة للتغيير من داخل الحزب الحاكم نفسه، وتمكن التيار المعارض من حل الحزب الشيوعي وإعلان قيام حزب اشتراكي. أما رومانيا وبلغاريا ومنغوليا فقد استمرت الأحزاب الشيوعية في قيادة البلاد وذلك من خلال انتهاجهم سياسات إصلاحية ديمقراطية واقتصادية تستجيب لمتطلبات التفكير السياسي الجديد المطروحة في موسكو.

أما في البلدان الشيوعية والاشتراكية غير الأوروبية مثل كوبا والصين وفيتنام ولاوس وكمبوديا وكوريا الديمقراطية (الشمالية) فقد اختلفت الأوضاع عن مثيلتها في أوربا الشرقية، حيث لم تشهد هذه البلدان تحركا جماهيريا واسعا باستثناء الصين التي شهدت احتجاجات طلابية واسعة تم قمعها بأقصى أنواع القوة، وإعلان الحكومة من جانبها بأنها ستقدم على إجراء إصلاحات واسعة في مجالات الحياة كافة.

لقد اعتبر الكثيرون سقوط كثير من الأنظمة الشيوعية والاشتراكية في مناطق مختلفة من العالم قد تم لأسباب فكرية وبعض آخر عدها أخطاء في التطبيق، وبعض يرى الاثنين معا، في حين صرح نيكولاي بورتوجالوف مستشار جريباتشوف بأن جورباتشوف ساهم في إسقاط الأنظمة الاشتراكية، وبرهن على أن البيروسترويكا ساهمت في تحرير المعسكر الاشتراكي. وبعيدا عن الأيديولوجيا فالواقع يؤكد أن غياب الديمقراطية وإبعاد الجماهير عن المشاركة في رسم سياسة الدولة والنقل الحرفي للتجربة السوفيتية دون أخذ خصوصية كل بلد بعين الاعتبار، وأخيرا السعي المتواصل للامبريالية من أجل إفشال التجربة، كل هذه العوامل مجتمعة ساهمت في انهيار المنظومة الاشتراكية.

إن غياب الديمقراطية والتفكير باسمها ورسم القرارات عوضا عنها يعني خنق الطاقات الخلاقة المبدعة لدى الجماهير، ويعتبر

الاشتراكيون أن التطبيق السيئ شوه الجانب الإنساني للاشتراكية، إذ لم يكن برأيهم الخطأ في النظرية الاشتراكية في حد ذاتها، لكن في سوء تطبيقها والتجاوز على مبادئها الأساسية. إن الشعوب التي غمرتها الفرحة بانتهاء أنظمة الاستبداد والفساد والقهر استيقظت في ظل سياسة السوق على ارتفاع أسعار مخيف واختفاء سلع أساسية، وبطالة مخيفة، وتحقير الغرب الرأسمالي لكل من كان ينتمي للمنظومة الشيوعية من قبل؛ ف زادت أسعار السلع في كل من روسيا وأوكرانيا وكل دول شرق أوروبا وظهرت طوابير المتسولين، فكان أبرز ملامح المشهد بعد اعتماد سياسة السوق، وكتب ميلوش زيمان احد نواب الجمعية الفيدرالية في تشيكوسلوفاكيا في رسالة وجهها إلى حزبه "المنبر المدني" الذي قاد الثورة في نوفمبر ١٩٨٩ هاجم فيها عملية الإصلاح الاقتصادي قائلاً: بدلا من النمو الذي كان متوقعا أخذ ناتجنا الوطني في الهبوط ويجري تخفيض العملة وبدأت البطالة في الارتفاع بمعدل يمكن أن يثير صراعات اجتماعية خطيرة الآن".

وبعد مضي مدة قصيرة على هذه التغيرات الجذرية التي حدثت في النظام السياسي السابق للدول الاشتراكية، وبعد أن جريت جماهير أوروبا الشرقية سياسة السوق لم يروا منها غير التدهور السياسي والاقتصادي، بدأت مرة أخرى هذه الجماهير تتعاطف مع سياسة الأحزاب الاشتراكية السابقة، وهذا يفسر فوز الشيوعيين في بولونيا والمجر، ويؤكد فشل سياسة السوق الرأسمالية في هذه البلدان، إذ كان يجب على النظم الرأسمالية الغربية أن تتحمل تبعاتها في هذه البلدان وتدعمها وتأخذ بأيديها حتى تتجاوز تلك الأزمة.

أما بالنسبة للاتحاد السوفيتي فلم تكن البيروسترويكاً هدفاً في حد

ذاتها ولكنها الوسيلة الثورية

لتحقيق الهدف، في التعجيل بتقدم اجتماعي واقتصادي وتجديد جميع نواحي الحياة حسبما أكد جورباتشوف. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كانت ثورة في إطار الاشتراكية أم ثورة مضادة للاشتراكية؟ في اجتماع إبريل ١٩٨٥ توصلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي إلى استنتاج مفاده: أن البلاد واقعة في حالة ما قبل الأزمة، وتحدد في هذا الاجتماع نفسه الاتجاه نحو البيروسترويكاً وطرح أسس تصوراتهما من

وجهة نظر جورباتشوف وتتمثل السمة المميزة للبيرسترويكا وقوتها في أنها تشكل في الوقت نفسه ثورة من أعلى وثورة من أسفل، كما أكد جورباتشوف أن الأساس في عملية الإصلاح هو الاشتراكية وتدعيمها وتثقيتها وليس بعيدا عنها أو على حسابها، وذلك بالعودة إلى اللينينية كمعين أيديولوجي للبيرسترويكا. لكن التطبيق الفعلي للبيرسترويكا هو عكس ما نادى به جورباتشوف ودعا إليه. إن كثيرا من الباحثين الشيوعيين اعتقدوا في البداية أن البيرسترويكا هي ثورة ديمقراطية إصلاحية في إطار النظام الاشتراكي، وأنه من الممكن أن تتجح هذه السياسة لاسيما أن الحزب الشيوعي هو الذي دعا وقاد هذه العملية داخليا وخارجيا. غير أن التطبيق العملي في السنوات الأولى للبيرسترويكا أوضح انقسام المجتمع والحزب والدولة بين مؤيد ومعارض ومتحفظ، غير أن الحقيقة التي لا يمكن إغفالها هي أن الأغلبية على جميع المستويات كانت تدعم البيروسترويكا في السنوات الأولى، وكان هناك اعتقاد عام بأن الصراع سوف يحسم لصالح الأغلبية خلال مدة قصيرة، فماذا حدث!؟

دعت سياسة البيرسترويكا إلى التعددية السياسية، فنشأت أحزاب وجبهات ومنظمات عديدة تمثل كافة الأطياف بما فيها التخريبية والفوضوية، وصلت إلى حد الفوضى السياسية، ففي يونيو ١٩٨٩ تشكلت الجبهة الموحدة لعمال الاتحاد السوفيتي، وكذلك الحزب الديمقراطي للاتحاد السوفيتي أغسطس ١٩٨٩ وهو أول حزب يعبر عن مصالح رجال الأعمال الجدد في الاتحاد السوفيتي الذين ظهروا على الساحة السوفيتية بعد انتهاء سياسة البيرسترويكا، كما تكون اتحاد الفوضويين فبراير ١٩٨٩، والحزب الدستوري الملكي الأرثوذكسي الذي نشأ في نوفمبر ١٩٨٩ والذي دعا صراحة لإسقاط النظام السوفيتي ودعوة النظام الملكي إلى السلطة من خلال عائلة رومانوف، والحزب الليبرالي الديمقراطي الذي تأسس في مارس ١٩٩٠ بزعامة فلاديمير شيرنوفسكي الذي ينادي بالنموذج الأمريكي والاعتراف بحق الملكية الفردية واقتصاد السوق، وفي إبريل ١٩٩٠ تأسست الحركة المسيحية الديمقراطية الروسية، بالإضافة إلى الأحزاب والمنظمات الشيوعية التي ظهرت كرد فعل لسياسة البيرسترويكا، ومنها جماعة الوحدة الوطنية

من أجل الماركسية اللينينية، وحزب المبادرة الشيوعية الذي تشكل غالبية أعضاء من منظمة الشباب الشيوعي الكومسومول، والحزب الديمقراطي، وكذلك الحزب الديمقراطي الموحد.

وأمام هذا الزخم غير المنضبط في اللوحة السياسية السوفيتية الجديدة اتخذ البرلمان السوفيتي قرارا بإلغاء المادة السادسة من الدستور والتي تؤكد قيادة الحزب الشيوعي السوفيتي للمجتمع والدولة في أكتوبر ١٩٩٠، ومن ثم بات على الحزب الشيوعي، ليس فقط أن يغير جلده، بل وقناعاته أيضا، وذلك بالتحول من حزب ماركسي لينيني قح إلى حزب اشتراكي ديمقراطي، وهو ما يفقده المزيد من تميزه وقوته، تاريخيا وواقعا ومستقبلا، وغد الحزب الشيوعي غريبا في بيته الذي شيده بفكره وجهده وعرقه على امتداد أجيال حفلت بتضحيات أسطورية.

إن قرار البرلمان السوفيتي أكتوبر ١٩٩٠ كان يعني إنهاء احتكار الشيوعيين للعمل السياسي والسلطة، ولهذا ولد إحساس عام داخل الحزب الشيوعي الذي يضم ٢٠ مليون عضو بأن سقوط الحزب أصبح أمرا لا مفر منه. ثم تلاحقت القرارات التي ساهمت في سرعة الانهيار؛ ففي أكتوبر ١٩٩٠ صدر قانون حرية الإيمان والمنظمات الدينية، وقانون حرية تكوين الأحزاب السياسية والاتحادات والنقابات، وكذلك قانون تنظيم الاستفتاء الشعبي العام في ديسمبر ١٩٩٠، فضلا عن إطلاق حرية الصحافة، وتغيير المناهج الدراسية، والاتجاه نحو اقتصاد السوق والملكية الخاصة.

وأتبع جورباتشوف هذه القرارات بخطوات جديدة واسعة في سبيل ترجمة أفكاره، بهدف معلن هو المحافظة على الذات مع تنقية النظام الاشتراكي على هدى من اللينينية وتطعيمه ببعض الجرعات المحدودة من نهج الليبرالية الغربية، لكنها تمثل مغالطة كبيرة لما ادعاه جورباتشوف. الأمر الذي أدى إلى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأصبح الاتحاد السوفيتي مجبرا على مد يده إلى الغرب طلبا للعون، الذي راح يتحجج ويتكأ في تقديم المعونة، وبات واضحا أن النظام الغربي لن يقدم المساعدة بدون مزيد من تنازلات، الأمر أثر سلبا في نفسية المواطن السوفيتي، وتوالت الأحداث حتى أغسطس ١٩٩١ حينما وقع الزلزال الذي أدى إلى تصدع الاتحاد

السوفيتي. وفي ١٩ أغسطس ١٩٩١ حاول المسؤولون الكبار في الحزب الشيوعي الضغط على جورباتشوف من أجل منعه من تقديم تنازلات أكثر سواء للغرب أو للقوى الداخلية المعادية للشيوعية، وفي محاولة لإنقاذ الاتحاد السوفيتي حاول كبار رجال الدولة عقد اتفاقية بين الجمهوريات في ٢٠ أغسطس ١٩٩١ تمنحها سلطة مركزية أكثر تتمثل في إقامة علاقات دبلوماسية وقنصلية وتجارية مباشرة، مع حق الجمهوريات في إلغاء أي قرار مركزي، غير أن القوى الليبرالية التي تزعمها بوريس يلتسين، الذي أصبح في نظر الغرب حامي الديمقراطية في الاتحاد السوفيتي تصدى لهذه الفكرة. وتوالت الأحداث حتى اجتماع مينسك بيلوروسيا، الذي ألغى الوجود السياسي للاتحاد السوفيتي في ٢٠ ديسمبر ١٩٩١، وأعلن عن تأسيس ما يسمى بأسرة الجمهوريات المستقلة.

إن أحداث أغسطس ١٩٩١ أوصلت بوريس يلتسين إلى رئاسة الدولة، وعززت الأوضاع غير الطبيعية التي كانت سائدة في روسيا من سلطة يلتسين التي كانت معتمدة على الأوضاع الطارئة في البلاد متمثلة في الانقلاب ، تدمير البرلمان ، أحداث الشيشان ... الخ.

وفي يونيو ١٩٩٦ كانت أنظار المجتمع الدولي متوجهة صوب روسيا التي انتخبت رئيسها من بين عشرة مرشحين في مقدمتهم بوريس يلتسين الرئيس السابق، جينادي زيوخانوف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي، الكسندر ليبيد جنرال عسكري متقاعد، شغل سابقا قيادة الجيش الرابع عشر السوفيتي سابقا، جريجوري يافلينسكي رئيس حركة اجتماعية إصلاحية جديدة، فلاديمير شيرنوفسكي سكرتير الحزب الليبرالي الديمقراطي، سفياتوسلاف فيودوروف المدير العام لجراحة العيون في روسيا، ميخائيل جورباتشوف الرئيس السابق للاتحاد السوفيتي. وعلى الرغم من كثرة حظوظ يلتسين إلا أنه حصل على ٣,٤% فلم يستطع أن يحسم الانتخابات في جولتها الأولى، فأعاد مع زيوجانوف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي، ثم حسم بوريس يلتسين الجولة الثانية بفارق بسيط. وتبقى روسيا الجديدة تعاني

من أزمات اقتصادية طاحنة وعدم استقرار سياسي، إضافة إلى ما تعانيه من قتال مع الشيشان، الأمر الذي أدى إلى حالة من التدهور والضياع وتخبط روسيا في اتخاذ قراراتها على كافة الأصعدة الداخلية والخارجية. لقد كرست الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية كل جهودها من أجل إنجاح يلتسين في مهمته، ولكن نجاح يضمن استمرار الوضع الراهن ولا يؤدي إلى تفوق روسيا، فدعموا حملته الانتخابية دعماً مباشراً مادياً وإعلامياً، وتابعت الولايات المتحدة سير العملية الانتخابية باهتمام بالغ. وعلق بيل كلينتون على نتائج المرحلة الثانية من الانتخابات الروسية بقوله: لقد انتصرت الديمقراطية في روسيا.

القضية الأمريكية واختلال توازن العلاقات الدولية

سوفيتي شهدت الخريطة السياسية الأوربية في عام ١٩٩١ تطورات خطيرة ففي الاتحاد السوفيتي شكلت حركة ١٨ أغسطس ١٩٩١ المسمار الأخير في نعش الاتحاد السوفيتي، ومع عقد اتفاقية الحد من الأسلحة النووية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وما رافقها من تنازلات كبيرة مقابل لا شيء، وتحقيق الوحدة الألمانية باندماج ألمانيا الشرقية في ألمانيا الغربية الرأسمالية، والتي مثلت الخطوة الأكبر في سبيل إنهاء السيطرة السوفيتية على أوروبا الشرقية. وبدأ الاتحاد السوفيتي ينهار، في الوقت نفسه ظهرت نزعة نحو إحياء الإمبراطورية الروسية القديمة (القيصرية) فلم يكن إحراق العلم الأحمر الذي يحمل المطرقة والسندان رمز الشيوعية على اثر الانقلاب الفاشل ورفع علم روسيا القيصرية إلا رمزا لتلك النزعة. لقد بدأ الانهيار تدريجياً بإعلان استقلال جمهوريات البلطيق الثلاث لاتفيا واستونيا وانضمامها للأمم المتحدة والاعتراف الدولي حتى من جانب الاتحاد السوفيتي، ثم إعلان استقلال أوكرانيا، وبيلا روسيا، وروسيا وتشكيلهم كومنولث في ٨ ديسمبر ١٩٩١ ليحل محل الاتحاد السوفيتي من الناحية القانونية، ثم انضمام جمهورية كازاخستان وبقية الجمهوريات الإسلامية بالإضافة إلى أرمينيا، بعدها لم يعد للاتحاد السوفيتي وجوداً فعلياً.

ترك انهيار الاتحاد السوفيتي بصمات سلبية على طبيعة العلاقات السياسية الدولية في العالم أجمع. إن انهيار الاتحاد السوفيتي كان

بمثابة انهيار لضمان التوازن الدولي والاستقرار العالمي والعدالة حتى وإن بدت منقوصة أو مشوهة في بعض الأحيان خاصة في يتعلق بصراع الجنوب والشمال أو الأبيض والأسود أو صراعات العالم الإسلامي مع الدولة العبرية، فالعدالة المنقوصة أفضل من الميل كل الميل فيزرها كالمعلقة. ومهما كان موقفنا من النظام الشيوعي، وبصرف النظر عن مدى صحته أو خطأه فإنه حمل لملايين الناس الأمل في حياة أفضل وعدالة أكثر، وقدم دعماً .. أياً كانت نيته، لشعوب تناضل من أجل الحرية والاستقلال وللتخلص من النهب الاستعماري لخيراتهما، وأقام توازناً دولياً؛ فكان توازن الرعب الذي قد ضمن لشعوب العالم الثالث حق المناورة والحصول على استقلال نسبي، ومنع انفراد قوة أو معسكر بالهيمنة على العالم، وكون رادعاً لغطرسة أوروبا الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد خدم الاتحاد السوفيتي كأول بلد اشتراكي بقصد أو بغير قصد أو حتى من أجل مصلحة، قضايا التحرر في العالم الثالث، بل إنه ساهم في كسب بعض دول العالم صداقة الغرب خوفاً من الارتداء في أحضان الشيوعية. وقد ظهرت القيمة الحقيقية لهذه الصداقة بمجرد تفتت الاتحاد السوفيتي. فتغيرت موازين القوى على الصعيد العالمي لمصلحة النظام الرأسمالي وعلى رأسها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية التي غدت تمارس ما اعتبرته حقاً طبيعياً في الهيمنة والسيطرة وبسط النفوذ.

أما عن دور الاتحاد السوفيتي في خفض التوترات الدولية فقد قدم العديد من المبادرات انطلاقاً من رؤيته الجديدة لما يجب أن تكون عليه العلاقات الدولية، وأقدم على خطوات منفردة من جانب واحد وذلك بهدف إحداث تغيير في طبيعة العلاقات الدولية، وأعطى هذا التوجه نتائج إيجابية نوعية في إزالة منظومة كاملة من الأسلحة الإستراتيجية التي شملت الصواريخ المتوسطة المدى والأقل مدى، كذلك الاتفاق الضمني المشترك على إزالة الأسلحة الكيماوية خلال مدة أقصاها عشر سنوات، وعمل على تقليص يصل إلى ٥٠% للأسلحة النووية البعيدة المدى، وعلى تخفيض وجود القوات المسلحة من الطرفين في أوروبا إلى ١٩٥ ألف جندي، كما قدم أيضاً عدة مبادرات دولية لحل مشكلة

الشرق الأوسط، وقام بسحب قواته من أفغانستان، وتمت معالجة كثير من التوترات في مناطق آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، الأمر الذي أدى إلى خفض حدة التوتر في الحرب الباردة كما تراجع احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة.

لقد تبنى الاتحاد السوفيتي سياسة خارجية تهدف إلى تحسين العلاقة بين الشرق والغرب اعتمادا على توازن المصالح وإلغاء صورة العدو، لكن التطورات الجديدة في الاتحاد السوفيتي قلبت موازين القوى والتكتلات والتحالفات الدولية رأسا على عقب، ووضعت البشرية أمام منظر مرحلة جديدة خلقت نوعا من عدم الاستقرار. فترك انهيار الشيوعية فراغا كبيرا في المجتمع الدولي تمحور في هيمنة القطب الأمريكي، وهذا يعني اختفاء مبدأ التوازن الذي كان سائدا بعد الحرب العالمية الثانية.

خشيت الدول الرأسمالية من الفراغ الأيديولوجي الذي خلفه موت الشيوعية في بلد المنشأ، فانهيار العدو السوفيتي الذي كانت تعتمد عليه منذ نصف قرن تقريبا لأجل إرهاب سكانها، كان قد أغرق هذه البلدان في كآبة عميقة، فهل ستتجه الدول الرأسمالية إلى البناء الداخلي وإصلاح الخلل بما يطيل عمرها، أم ستتجه للبحث عن عدو آخر خارجي ترهب به الداخل والخارج؟ وفي الوضع الجديد لعبت الولايات المتحدة دور الشرطي العالمي أو دور الوصي على العالم وأمنه الذي لا يمكن أن تخرج مهمته عن العدوان والتحكم بمقدرات الشعوب ودولها النامية، وهذا ما انعكس في سلوك الولايات المتحدة الأمريكية بعد الانهيار في أغلب مناطق العالم. لقد شهد العالم الهيمنة الأمريكية الجديدة التي تتم بعقلية تغلب عليها روح الانتصار الحاسم على الغريم الأيديولوجي، ومن الطبيعي أن تتبنى الولايات المتحدة جميع الحلول السلمية النابعة من بنات أفكارها هي فحسب دون مراعاة الآراء الأخرى، الآراء التي تصب في مصلحتها وحدها بغض النظر عن مصالح الأطراف الأخرى والأمن والسلم الدوليين. وغدت تسوية المنازعات تتم تحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية، وليس تحت إشراف الأمم المتحدة التي اكتفت بدور المتفرج المبارك لخطوات الدولة الكبرى.

إن ظاهرة الهيمنة في العلاقات الدولية ليست جديدة، فقد سبق أن هيمنت بريطانيا على العالم فترة طويلة في أعقاب الحرب النابليونية، ولكن الجديد في الهيمنة الأمريكية، هو أنها تتم من خلال عقلية المنتصر في الحرب الباردة، الساعي إلى تطويع المجتمع الدولي لخدمة تصورات وأهدافه، وقد أكد هذه الحقيقة الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابه "ما وراء السلام" حيث قال "على الأمم المتحدة أن تسير في ركاب الولايات المتحدة" ان انهيار الاتحاد السوفيتي قد أحدث أكبر تغير في العلاقات بين القوى الكبرى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، فبسقوطه انهارت بنية "القطبية الثنائية" التي ظلت تحكم مسار النسق الدولي لفترة تقارب نصف القرن.

وخشيت الولايات المتحدة عى القطب السوفيتي من ظهور أقطاب أخرى جديدة بالتوازي مع القطب الأمريكي، فهناك أوروبا الموحدة والتتين الصيني والعملاق الياباني، وحتى روسيا فهي الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي.

وظهر مصطلح النظام العالمي الجديد لأول مرة على لسان الرئيس الأمريكي جورج بوش في بدء الحشد الدولي ضد العراق، وصدرت قرارات بعقوبات من مجلس الأمن الدولي بعد الاحتلال العراقي للكويت بأيام قليلة. كان المأمول في النظام الجديد إرساء أسس جديدة للعلاقات الدولية تقوم على السلم والتعاون والمساواة بين الدول، وحماية حقوق وحرية الدول، لكن الواقع أثبت أن النظام الجديد يتمثل في هيمنة القطب الأمريكي وحده على المجتمع الدولي، على الرغم من وجود أقطاب أخرى، لقد روجت الولايات المتحدة ومازالت تروج أن أسس هذا النظام وقواعده هي حل النزاعات بالطرق السلمية إلا انه بات واضحا أن هذه الحلول لا يمكن أن تتم إلا في المنظور الأمريكي وحده وتحت إشرافه منفردا.

وفي هذا الإطار يمكننا فهم الحملات الإعلامية الأمريكية المنتظمة على الدول العربية، والتي بدأت بالهجوم على كل من ليبيا وسوريا والصومال والسودان بعد أن خربت العراق، وتستخدم في ذلك إسرائيل بإمكاناتها العسكرية والخبرائية كراس حربة لها في المنطقة، ومن هذا النظام نستنتج أن الولايات المتحدة هي الطرف الوحيد الذي يتصدر

مقدمة الحلبة بانتظام، وخير دليل على ذلك عملية الإنزال في الصومال حيث ترجل ما يقرب من ثلاثين ألفاً من وحدات المارينز متذرة بتأمين وصول المواد الغذائية إلى السكان المحليين.

إن أحد الأدوات التي تستخدمها الولايات المتحدة هو إفشال القوى الكبرى الأخرى فيم يعن لها من مشكلات إقليمية، وإلا كيف يمكن تفسير الفشل السياسي الأوروبي إبان الأزمة اليوغسلافية؟ فالمجموعة الأوروبية عجزت في المرحلة الأولى، عن إنشاء قوة فصل أوروبية والاتفاق على تطبيق عقوبات بحق صربيا المسئول الرئيس عن اندلاع المعارك والمتورطة في حرب إبادة ضد أهالي البوسنة المسلمين، إن إشعال الحرب في منطقة البلقان في تسعينيات القرن العشرين كان مقصوداً بها إثبات انهيار الأنظمة الاشتراكية وزوالها عن المسرح الدولي، فما كان للاتحاد السوفيتي (سابقاً) ومنظومته أن يسمح بمثل هذه الحرب في واحدة من مناطق نفوذه.

كما تميزت سياسة النظام العالمي الجديد مع ليبيا فيما يتعلق بأزمة لوكربي،^(٣٩) بالاستفزاز وخاصة في التصريحات التي تقول إذا لم تستجب ليبيا لا نستعد حلاً آخر بما في ذلك اللجوء إلى العنف وهذه التصريحات تخالف ما جاء في نصوص ميثاق الأمم المتحدة، وعلى الرغم من محاولات ليبيا الجادة لإيجاد حل متوازن لهذه القضية،^(٤٠)

(٣٩) وقعت أحداث القضية في ٢١ ديسمبر ١٩٨٨ عندما انفجرت الطائرة البوينج ٧٤٧، التابعة لشركة بان أمريكان أثناء تحليقها فوق قرية لوكربي، الواقعة في الجانب الأسكتلندي من إنجلترا. وقد نجم عن الحادث مقتل ٢٥٩ شخصاً هم جميع من كان على متن الطائرة و١١ شخصاً من سكان لوكربي. وبعد تحقيقات غير معلنة، وبعد تكهنات من وسائل الإعلام، تم تدوير المسؤولية بين دول مختلفة، يجمع بينها رابط العداء لأمريكا، وبعد سنوات من التحقيق تنقلت الاتهامات شرقاً وغرباً وفق مصالح الطرف القوي الولايات المتحدة، وقد أُلقيت المسؤولية أولاً على منظمة فلسطينية، ثم على سوريا، وبعدها على إيران، وأخيراً توصلت الاستنتاجات والتحقيقات إلى ليبيا. وبالترامن صدر في الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا في ١٣ نوفمبر ١٩٩١ أمراً بالقبض على مواطنين ليبيين اشبه في مسؤوليتهما عن تفجير الطائرة؛ كونهما يعملان بمكتب شركة الخطوط الجوية الليبية بمطار لوقا بمالطا وقيل أن بمعرفتهما تم شحن حقيبة تحتوي على متفجرات.

(٤٠) رفضت ليبيا الطلب وبدأ القضاء الليبي التحقيق في الاتهام، وأوقف المواطنان الليبيان، وطلب من الدولتين تقديم ما لديهما من أدلة ضدّهما. أصرت الدولتان على

نلاحظ التزم والإصرار من قبل مجلس الأمن وبالضغط من كل من الولايات المتحدة، بريطانيا، وفرنسا، الأمر الذي أدى إلى فرض عقوبات بحق ليبيا.

وإذا كانت الأمم المتحدة قد فشلت في عصر التوازن الدولي والحرب الباردة في أن تكون إحدى الأدوات المتاحة للدول الصغيرة ودول العالم الثالث لتحقيق العدالة والحصول على حقوقها في الاستفادة من مواردها لأغراض التنمية المحلية، فقد أصبحت في ظل القطب الواحد أداة بطش لتنفيذ رغبات القطب الأمريكي، إذ أصبح في إمكانها أن تستصدر ما تشاء من القرارات في مجلس الأمن والجمعية العمومية وتمحو ما تشاء، فتمكنت من إلغاء القرار ٣٣٧٩ الخاص باعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية، وكذلك القرار رقم ٧٣١ بمطالبة ليبيا بتسليم مواطنيها المتهمين في قضية لوكربي، وكذلك قرار حصار العراق الهادف إلى تجويع الشعب العراقي.

إن النظام العالمي الجديد يحاول ظاهريا تجنب استخدام القوة والحلول العسكرية، ولكنه إن أراد استخدام القوة في منطقة ما لفق الحجج والدلائل لإدانة الضحية ثم استخدم القوة تحت ستار من الشرعية الدولية مستغلا في ذلك الأمم المتحدة. كما انه يقوم بعض الأحيان

طلبهما ورفضت ليبيا الاستجابة، لما رأته -حسب ما أعلنته- من اتهامات باطله تثيرها الدولتان دون توفر أية أدلة لديهما. عندما أحست الدولتان أن ثغرة قد فتحت في جدار العقوبات المتصدع، قبلتا في ٢٤ أغسطس ١٩٩٨ بمحاكمة الليبيين في بلد ثالث هو هولندا حيث وافقت ليبيا. استمرت المحاكمة لمدة ٨٤ يوما من المرافعات القانونية. وفي ٣١ يناير ٢٠٠١ أدانت المحكمة أحد المتهمين استنادا إلى قرائن ظرفية وبرأت الاخر. حُكِمَ على المقرحي في ٣١ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠١ بالسجن المؤبد إثر إدانته بالتورط. في نوفمبر ٢٠٠٣، قررت المحكمة العليا في اسكتلندا أن على المقرحي أن يمضي ٢٧ عاما على الأقل في السجن قبل أن يحظى بالإفراج المشروط، وقد قضى فترة سجن طويلة معتقلاً في سجن قرب جلاسكو إلى أن تم الإفراج عنه لأسباب صحية. وعلى خلفية هذا الحكم دخلت الدولتان في مفاوضات مع ليبيا أسفرت عن الوصول إلى تسوية تدفع بموجبها ليبيا تعويضات إلى أسر الضحايا وتعلن مسؤوليتها عن أعمال موظفيها، وهو ما تم بالفعل. أقدمت ليبيا على تسوية أزمة لوكربي بعد ١٤ سنة من الحصار الاقتصادي، ودفعت ليبيا لضحايا أزمة لوكربي مبلغ ٢,٧ مليار دولار بمقدار ١٠ ملايين لكل ضحية. وهذا خطأ وقع فيه القذافي إذ كيف يقر بمسؤولية بلاده عن حادث فردي يعاقب صاحبه.

بتهميش دور الأمم المتحدة وهذا ما جرى في المفاوضات العربية الإسرائيلية. إن كل نظام دولي لا بد وأن يستند على شرعية دولية تمكنه من القيام بمهامه، فالشرعية الدولية تعني وجود نص أو قاعدة قانونية أو عرفية متفق عليها لا يمكن الطعن فيها من قبل دول العالم التي تبنتها.

وإذا كانت الشرعية الدولية تؤكد حق الشعوب في تقرير مصيرها والمساواة بين الدول في السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وعدم استخدام القوة أو التهديد بها، إلا أن الشرعية الدولية في النظام العالمي الجديد تتمحور حول قانون القوة بدلا من قوة القانون الدولي وقواعده التي تسعى إلى حل المشاكل الدولية بالطرق السلمية . وبذلك تكون قد انتقلت الشرعية الدولية من شرعية تعتمد على الجماعة الدولية وقراراتها إلى قرارات فردية تصدر عن رغبة القطب الأمريكي المتسلط تعكس مصالحه الحيوية والإستراتيجية.

إن النظام العالمي الجديد الذي صاغه بوش لا يقدم شيئا جديدا مختلفا عن النظام الذي كان سائدا والذي ولد منذ نصف قرن. وإذا كانت هناك نية صادقة وتوجهات جديدة لبناء نظام عالمي جديد، إذن يجب إعادة صياغة الأمم المتحدة ونظام التصويت بمجلس الأمن، على أن يؤخذ بعين الاعتبار حق الدول النامية ومساهماتها في صنع القرارات الدولية.

أن ما حدث في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وإن كان في ظاهره اختراق ينتهك أراضي القطب الأوحدي الذي نفسه سيدا بين الدول، إلا إنه في حقيقته تكريس لقطبية الدولة ذاتها، من خلال إيجاد عدو وهمي جديد هو الإرهاب للوصول عبر أفغانستان إلى قلب الاتحاد السوفيتي القديم، وتحديد منطقة القوقاز، أو بالأحرى الوصول إلى بداية هلال البترول وفرض الهيمنة عليه، ولا أدل على ذلك من وصول بترول القوقاز بعد سنوات قليلة إلى الولايات المتحدة عبر ميناء جيهان التركي، بأنا بيب، ثم عبر ناقلات البترول العملاقة التي تمر عبر باب البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

وهكذا دخلت البشرية القرن الحادي والعشرين وهي تعاني في ظل العولمة الرأسمالية، التي تتكشف بوضوح سماتها المتوحشة متجلية في

التفاوت المتسع دون انقطاع بين الثروات الهائلة التي تستحوذ عليها أقلية ضئيلة، والفقر المدقع الذي تعانيه الغالبية العظمى المستغلة والمضطهد من سكان المعمورة، وفي تعمق الهوة بين الشمال والجنوب وتزايد المديونية والفساد والتلوث البيئي تقشي بؤر التوتر والنزاعات المسلحة وعدم الاستقرار في العلاقات الدولية. ولم يعد خافيا على أحد أن ما روجته الولايات المتحدة بشأن إقامة ما يسمى بنظام عالمي جديد يسوده السلام والامن والعدالة إنما هو محض وهم، وكل ذلك يؤكد أن الرأسمالية كنظام عالمي لم تفشل في معالجة المشاكل في العالم فحسب بل فاقمتها الى الحد الذي يندر بتراجعات أوسع وأشمل، وما جعل كثير من الباحثين والمحللين يؤكدون أن احداث ١١ سبتمبر قد استغلت لتؤكد بأن لعولمة تواصل زحفها وتثبت نفسها على أنها خاصية العالم المعاصر الرئيسية، غير أن الازمة الحالية مالبتت أن كشفت هشاشتها، ومن الواضح أن احداث ١١ سبتمبر قد أحدثت تغيرا مقصودا في العلاقات الدولية بين الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها ومناطق من العالم الاسلامي، وإعادة اصطفا في الدبلوماسية خاصة في ما يتعلق بعضوي مجلس الأمن الأكثر ابتعادا وهما روسيا والصين، وأن حملة في المجالات العسكرية والاستخباراتية والسياسية ستواصل سنوات.

لقد فتحت أحداث ١١ سبتمبر بلا شك تحولات جيو - سياسية تؤثر في ميزان التوازن الاستراتيجي وبشكل خاص في استقلالية القرار السياسي الأوربي وتخلت بشكل مؤقت الخلافات الامريكية - الاوربية التي برزت في أكثر من قضية إقليمية دولية. إن تناقضات الرأسمالية وأزماتها وأرادة التحكم الاحادي الامريكي بالعالم تكمن وراء "الحرب على الارهاب" التي شنتها ادارة بوش الابن دون أن تتمكن من الانتصار فيها، ومن دون أن تؤكد أو ننفي ما اذا كان الاقتصاد الامريكي سيتعرض لازمة كبرى قد تطيح بموقعه المتميز على الساحة الدولية، أو ما إذا كان هذا الاقتصاد وعلى العكس من ذلك يؤكد حضوره ومحوريته في الاقتصاد العالمي.

مراجع الدراسة

- أنور محمد طه، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة (السليمانية، العراق، ٢٠٠٧)
- محمد طه بدوي وآخرون، العلاقات السياسية الدولية، قسم العلوم السياسية، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية (الإسكندرية: أليكس لتكنولوجيا المعلومات، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤)
- زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر (دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت)
- زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر (دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت)
- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩١)
- ممدوح محمود منصور، العولمة: دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد (الإسكندرية: أليكس لتكنولوجيا المعلومات، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤)
- أحمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر (الإسكندرية: أليكس لتكنولوجيا المعلومات، ٢٠٠٧)
- مارسيل ميرل، العلاقات الدولية المعاصرة: حساب ختامي، ترجمة: حسن نافعة (القاهرة: مكتبة الأسرة، سلسلة الفكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥)
- إدوارد سعيد، غزة-أريحا: سلام أمريكي (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٤)
- إدوارد سعيد، أوسلو ٢: سلام بلا أرض (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٥)

- محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل:
عواصف الحرب والسلام (ثلاثة كتب)، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار
الشروق، ١٩٩٦)

- هنري لويس، اللعبة الكبرى: الشرق العربي المعاصر والصراعات
الدولية، ترجمة: محمد مخلوف (ليماسول، قبرص: دار قرطبة للنشر
والتوزيع والأبحاث، ١٩٩٢)

- Joshua S. Goldstein, International Relations, sixth
Edition (New York: Longman, 2005)

- G.R. Berridge, International Politics: States,
Power & Conflict since 1945, third edition (New
York: Pearson Prentice Hall, 1997)

- Alan C. Lamborn & Joseph Lepgold, World
Politics into the 21st Century: Unique Contexts,
Enduring Patterns (New Jersey: Pearson
Prentice Hall, 2003)

- Stephen Zunes, Tinderbox: U.S. Middle East
Policy and the Roots of Terrorism (Monroe,
Maine: Common Courage Press, 2003)

- Donald Neff, Fallen Pillars: U.S. Policy towards
Palestine and Israel since 1945 (Washington,
D.C.: Institute of Palestinian Studies, 2002)

- Abdel-Fattah Mady, U.S. Foreign Policy and
Peace Efforts in the Occupied Palestinian
Territories (1993 - 2000), *Scientific Journal of
Faculty of Commerce, Alexandria, March 2007*

فهرست الموضوعات

ص	الموضوع	الفصل
٢	مقدمة	
٥	نظريات ومفاهيم أساسية في العلاقات الدولية <ul style="list-style-type: none"> - الواقعية Realism - التحررية Liralism - البنوية Constructivism - فكرة حقوق الإنسان The Idea of Human Rights - العولمة Globalism - النظريات السياسية في ظاهرة الاستعمار <ul style="list-style-type: none"> ○ توازن القوى ○ الأمن الجماعي ○ إدارة الصراع الدولي 	الأول
٣٧	جذور العلاقات الدولية في العصر الحديث	الثاني
٥١	العلاقات الدولية في النصف الأول من القرن العشرين <ul style="list-style-type: none"> - العلاقات الدولية في مطلع القرن العشرين - العلاقات الدولية في عصر التنظيمات 	الثالث
٧١	العلاقات الدولية في ظل الحرب الباردة	الرابع
١١١	البروسترويكا والعلاقات الدولية <ul style="list-style-type: none"> - إعادة البناء (البروسترويكا) - تأثير البروسترويكا على العلاقات الدولية 	الخامس
١١٩	العلاقات الدولية في نهاية القرن العشرين <ul style="list-style-type: none"> - انهيار المنظومة الاشتراكية - القطبية الأمريكية واختلال توازن العلاقات الدولية 	السادس
١٣٦	المصادر والمراجع	